بنو خفاجه

وتاريخهم السياسى والأدبى

صحائف البطولة والمجد السياسى والعلمى والأدبى للخفاجيين

تأليف

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بكلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٣٦٩ — ١٩٥٠

المطبعة الفاروقية الحديثة

أول شارع محمد على قريباً الناصرية

بنو خفاجة

وتاريخهم السياسي والأدبي

صحائف البطولة والمجد السياسي والعلمي والأدبي للخفاجيين

تأليف

محمد عبد المنعم خفاجي

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٦٩ — ١٩٥٠

المطبعة الفاروقية الحديثة

٣ الأمير أرغون بالناصرية

ملاحظات

١ — الكتاب خمسة أجزاء — ألف صفحة

٢ — يطلب الكتاب من المؤلف بكلية اللغة العربية أو من المطبعة الفاروقية الحديثة ٣ الأمير أرغون بالناصرية بالقاهرة

٣ — يرجو المؤلف جميع أبناء أسرة خفاجى أن يتفضلوا بأن يمدوه بما يكون لديهم من معلومات تاريخية مختلفة للاشارة إليها فى هذا الكتاب

٤ — الاشتراك فى جميع أجزاء الكتاب جنيه مصرى وثمن الجزء الواحد ثلاثون قرشا

٥ — يطبع المؤلف بالاشتراك مع أستاذ كتاب سر الفصاحة للامام الأديب الناقد الأمير عبد الله بن سنان الخفاجى [٤٢٢ — ٤٦٦ هـ] وسيقع الكتاب فى ٤٠٠ صفحة وثمن الاشتراك فيه ٣٠ قرشا وثمنه بعد الطبع ٤٠ قرشا، ويطلب هذا الكتاب أيضا من المؤلف أو من المطبعة المذكورة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير كريم

— ١ —

حضرة المحترم الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة العربية

تفضلتم فاهديتم دار الكتب المصرية نسختين من مؤلفكم القيم : بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي

وان دار الكتب لتغتبط بهذه الهدية القيمة وتقدم لحضرتكم من أجلها أجل عبارات الشكر

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

مدير عام دار الكتب المصرية

— ٢ —

ا — ونشرت البلاغ فى عدد ٩ / ٦ / ١٩٥٠ عن الكتاب ما نصه :
بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي :

وضع صاحب الفضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة العربية كتابا تناول فيه أصول ونشأة بنى خفاجة وحياتهم فى نجد قبل الاسلام وبعده وأشهر الرؤساء والأبطال والشعراء منهم ثم الهجرات التاريخية لبنى خفاجة فى العراق ومصر والأندلس والتكوين السياسي لبنى خفاجة فى العراق ، وامارة الخفاجيين فى اقليم الكوفة فى القرن الرابع والخامس والسادس الهجرى وأشهر أمرائها . كما تناول بالتحليل حياة توبة الخفاجي وابن خفاجة الاندلسي الشاعرين وسواهما من الشخصيات

وقد سمى المؤلف كتابه « بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي » وسيتبعه

بأربعة أجزاء أخرى يتناول فيها تاريخ الامراء الخفاجيين فى الشام وحلب، وحياة بنى خفاجة فى مصر وأشهر فروعهم وكبار شخصياتهم حتى الآن .

وهو مجهود تاريخى كبير ينشر لأول مرة .

ب — ونشرت جريدة الأساس فى عدد ١٢/٦/١٩٥٠ ما نصه :

أخرجت المطبعة الفاروقية الحديثة بشارع الأمير أرغون بالناصرية الجزء الاول من هذا الكتاب التاريخى الحافل . وقد ألفه الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بالأزهر وهو مجهود تاريخى ينشر لأول مرة

ج — ونشرت جريدة المصرى فى عدد ١٢ / . / ١٩٥٠ عن الكتاب ما نصه :

أخرجت المطبعة الفاروقية الحديثة بالناصرية بالناصريه بالقاهرة الجزء الأول من هذا الكتاب التاريخى ؛ الذى ألفه محمد عبد المنعم خفاجى الاستاذ بكلية اللغة العربيه بالأزهر الشريف ، وهو معزز بالاسانيد والمراجع التاريخية . ويتناول نشأة الخفاجيين فى نجد قبل الاسلام وبعده . واشهر الرؤساء والسادة والأبطال والشعراء منهم ثم التكوين السياسى لبنى خفاجة فى العراق وامارة الخفاجيين فى إقليم الكوفة وأشهر امرائها فى القرن الرابع والخامس والسادس الهجرى ثم هجرة بعض فروعهم الى مصر والاندلس وبعض الشخصيات التى ظهرت فيها فى القديم ؟

فكرة الكتاب

« بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والادبى » كتاب حافل فى خمسة أجزاء تربى صفحاتها على الألف ومعزز بالاسانيد والمراجع التاريخية ويتناول نشأة الخفاجيين فى نجد قبل الاسلام وبعده وأشهر الرؤساء والسادة والأبطال منهم ، ثم التكوين السياسى لبنى خفاجة فى العراق والدولة الخفاجية وأشهر امرائها فى إقليم الكوفة . ثم أشهر الأمراء الخفاجيين بالشام وحلب وأشهر شخصياتهم فى الأندلس، ثم تحليلا واسعا لبنى خفاجة فى مصر وأشهر فروعهم وكبار شخصياتهم الى الآن ، كل ذلك فى تحليل دقيق ، وتأريخ مفصل بما يصور أعمال البطولة والمجد السياسى والعلمى والأدبى للخفاجيين. وقد ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب فلقى من تشجيع القراء وإقبالهم الشيء الكثير ، وإن عملا مثل هذا لفى أشد الحاجة إلى المعونة الأدبية والمادية من جميع أفراد الأسرة وأبنائها وكبار الشخصيات فيها ، لأنه مفخرة لهم فى الحاضر والمستقبل .

لهذا أهيب بهم ولى وطيد الأمل فى أن يبذلوا كل ما يمكنهم ليشترك فى الكتاب من يستطيع الاشتراك فيه من أفراد الأسرة على أن يرسل اليه كل جزء من الأجزاء الخمسة بمجرد ظهوره ، على أن يكون قيمة الاشتراك أمانة أعد مسئولا عنها إلى أن تصل أجزاء الكتاب للمشترك فى أقرب فرصة ممكنة .

والله ولى التوفيق ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بكلية اللغة العربية

مصر - عابدين - البراموني

قصة هذا الكتاب

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » وستليه الأجزاء التالية التى لن تقل عن ثلاثة أجزاء أخرى إذا خرج كل جزء منها فى ٢٥٠ صفحة على الأقل، وقد نضطر لكثرة مواد الكتاب لاخراج أكثر من أربعة أجزاء .

وأرجو أن يتفضل الجميع برعاية هذا الأثر التاريخى الخطير حتى نتمكن من نشر جميع الحقائق التاريخية التى سيتضمنها هذا الكتاب، وحتى لا نقف عن المضى فى سبيلنا المرسوم وخطتنا الجليلة ، وحتى لا أعتمد على مواردى المحدودة وحدها فى نشر الكتاب أو الاختصار فيه . وسأنشر جميع أسماء المشتركين فى آخر كل جزء من اجزاء الكتاب

إن جهادى فى سبيل كتابة هذا التاريخ جهاد لا أقدر على وصفه وهو جهاد استمر أكثر من عشر سنوات فى البحث والتنقيب فى شتى المراجع والمصادر التاريخية القديمة والحديثة والمخطوطات الكثيرة وخاصة ما يوجد منها عند رجال الأسرة ، ويجب أن يستمر هذا الجهاد الشاق العنيف لا كمال جوانب هذه البحوث والحقائق التاريخية التى تتصل بأسرتنا المجيدة

وفى عزمى إن شاء الله بعد طبع هذا الكتاب أن أطوف بحلب والكوفة ومكاتب الشام والعراق منقبا عن الكتب المخطوطة التى قد تضىء جوانب هذه البحوث المدفونة وتلك العظمة الخالدة لآبائنا الخفاجيين

وبعد ، فهذا هو الجزء الثانى من هذا الكتاب ، وسيليه الجزء الثالث قريبا باذن الله تعالى. وإنى لأضرع إلى الله أساله التوفيق والسداد والرعاية، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟ .

محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف
البراموني — عابدين — مصر

سر الفصاحة

كتاب حافل فى البلاغة والنقد والأدب

تأليف

الامام الأديب الناقد

الأمير عبد الله بن سنان الخفاجى

٤٢٣ - ٤٦٦ هـ

شرح وتعليق

حسن جاد — المدرس بكلية اللغة العربية

محمد عبد المنعم خفاجى — المدرس بكلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٣٦٩ - ١٩٥٠

سيظهر الكتاب قريبا ؛ ويقع فى نحو ٤٠٠ صفحة ، وثمن الاشتراك فيه ثلاثون قرشا ، وثمنه بعد الطبع اربعون قرشا

المطبعة الفاروقية الحديثة

بالقاهرة

٣ الأمير أرغون بالناصرية

بنو خفاجة فى الشام

١ يقول ابن خلدون فيلسوف التاريخ : كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا ما بين الجزيرة الفراتية والشام ؛ واستفحل أمرهم عند فشل دولة بنى حمدان وصاروا إلى ملك البلاد[1]

ونحن لا نعلم شيئا عن ظروف إقامتهم بالشام ، وما أحاط بهم فيهامن أحداث تاريخية ، ولكنه قد وصلنا الكثير عن الأمير عبد الله بن سنان الخفاجى الامام الاديب الناقد المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة - الذى نقوم بنشره الآن — وسواه من الكتب

والأمير ابن سنان من بنى حزن الخفاجيين، وكان بين بنى حزن وأبناء أعمامهم بنى كعب الخفاجيين خلافات شديدة فى العراق كما علمنا من الجزء الأول ، كما كان بينهم وبين أبناء أعمامهم من بنى عقيل وبنى كلاب كثير من الخصومات ، ولعل ذلك كان السبب فى هجرتهم من نجد أو أرض العراق الى الشام فى القرن الثالث الهجرى (٢٠٠ — ٣٠٠ هـ) ، ولما اقامت دولة بنى حمدان بحلب كان بنو خفاجة خاضعين لحكمها فلما ضعف الحمدانيون زاد نفوذ بنى خفاجة وحكموا البــلاد كما يقول ابن خـــلدون

ومن كلام ابن خلدون ومن دراستنا لحياة الأمير ابن سنان نعـــلم أن إقامة الأسرة كان بحلب من بلاد الشام . وكانوا على أى حال أبناء أعمام الأسر الحاكمة فى الكوفة والموصل والحلة وحلب والشام

وسنمضى فى دراستنا لحياة الأمير ابن سنان الخفاجى دراسة تحليل واستقصاء . وما توفيقنا إلا بالله

---

(١) ٢٥٥ ج ٤ تاريخ ابن خلدون

الامير ابن سنان الخفاجي (١)

حياته — ثقافته — آثاره العلمية — أدبه

تمهيد :

ابن سنان هو الأمير العالم الشاعر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن يحي بن الحسين بن محمود بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي .

وكتب على ديوانه عنه : الشاعر المفلق الشهير ، والكاتب النحرير ، والخطيب

(١) راجع ترجمته فى فوات الوفيات ٢٣٢ - ٢٣٥ ج ١ ، وقد نقلت فى مقدمة ديوانه المطبوع بالمطبعة الأنسية ببيروت عام ١٣١٦ ﻫ (ص ٢ و ٣ من الديوان) ، ونقلها أيضا مؤلف « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء ص ٢٠١ — ٢٠٤ ج ٤

وقد ترجم الاستاذ كامل الفقى المدرس بكلية اللغة لابن سنان وحلل كتابه سر الفصاحة ، فى عدة مقالات نشرت بمجلة الازهر عام ١٣٦١ — ١٣٦٢ ﻫ

وقد ترجم له كثير من علماء الأدب كجورجي زيدان وسواه . وورد ذكره فى معجم البلدان عند الكلام على حلب كما ورد استطرادا فى معجم الأدباء ، وفى ص ٣٤٥ من حلبة الكميت للنواجى شعر له

خلاصة لبحث الأستاذ كامل :

١ — حياة ابن سنان كما ذكره صاحب فوات الوفيات ، ومؤلفاته

٢ — تحليل لكتاب سر الفصاحة . وتعليق على نهج المؤلف فيه

٣ — ذوق ابن سنان الفنى ، وتوفيته لما يعرض له من بحوث وفطنته وتواضعه وبعده عن الفخر والزهو ، وأمانته العلمية ، ومن تأثر بهم ابن سنان من المتقدمين كالرمانى وقدامة والمبرد ؛ وشيخ ابن سنان المعرى ، وتأثر ابن الاثير بابن سنان ، وتأثر الخطيب القزوينى به ، وإثبات ان ابن سنان من المتكلمين

المصقع، البليغ، الأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد (١) المشهور بابن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى عام ٤٦٦ هـ

فاذا ما أردنا أن نعرف شيئا عن ابن سنان، فاننا لا نظفر من كتب الأدب والتاريخ إلا بشيء يسير جدا من حياته، وهو أنه ولى قلعة عزاز للسلطان محمود، فشق عصا الطاعة عليه، واستقل بها، فاحتال السلطان حتى قتله مسموما سنة ٤٦٦ هـ

فاذا ما رجعنا إلى ديوان الشاعر، وجدنا فيه ما يسد هذا النقص الكبير في معارفنا عن ابن سنان وحياته وشخصيته، مما نستطيع أن نلخصه لك فيما يلي:

أسرة ابن سنان

ابن سنان من بنى خفاجة، من سلالة بنى حزن الخفاجيين أولاد خفاجة بن عمرو بن عقيل؛ يقول ابن سنان:

وبالشهباء من حزن بن عمرو بيوت ما رقمن على لئيم (٢)

وحلب كانت موطن فرع كبير ضخم من بنى خفاجة العقيليين العامريين، ولا ندرى متى استقروا فى حلب، ولعل ذلك قد كان من أول القرن الثالث الهجرى

= ٤ — نقد لكتاب سر الفصاحة، ومن مثل نقده له:

ا .. نقده لميله لمذهب الصرفة

ب — نقده لرأيه بأن الفصاحة مقصورة على الألفاظ وأن البلاغة وصف للالفاظ مع المعانى وأن الفصاحة شطر للبلاغة وأحد جزءيها

جـ — التأليف فى كتاب سر الفصاحة يجمع بين الأدب والبلاغة والنقد وليس قاصرا على البلاغة

د — ونقده لانكاره على الفصحاء جعلهم الأطناب من الفصاحة.

وسننشر خلاصة وافية لبحثه فى آخر هذه الدراسة إن شاء الله

(١) هذا خطأ فى ذكر النسبة من ناشر الديوان (راجع ص ١ من الديوان)

(٢) ص ١٠١ من الديوان. والشهباء هى حلب. وحزن بن عمرو هم أجداده الخفاجيون

أو قبله بقليل وكان بنو حزن يقيمون فى العراق والجزيرة الفراتية ولعلهم رحلوا منها واستقروا فى حلب وهى قريبة جدا من هذه البلاد

ويقول ابن سنان أيضا :

يقول بنو حزن طلبنا لك العلا فلم أخذت كماك فى طلب الفقر (١)

ويقول فى الحديث عن رجل :

وأشعث حيينا به غرة الضحى وقد نشط التهويم عن غرة الركب
دعا آل حزن والرماح تنوشه فياقرب ما لبيت بالطعن والضرب (٢)

ويقول (٣)

وهل علمت بنو حزن بن عمرو إباى على مشاورة الخطوب

وإذا فأسرة ابن سنان هى من بنى حزن أحد الفروع الكبيرة لقبيلة خفاجة العقيلية العامرية المشهورة ، وهى قبيلة كبيرة لها تاريخها الحافل فى الحياة العربية قبل الاسلام وبعده (٤) . وموطنها حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ومقر العقيليين والخفاجيين ، وإحدى ثغور الاسلام وموطن من مواطن العروبة والثقافة الاسلامية ، وتاريخها حافل بالكثير من أعلام الدين واللغة والأدب والسياسة مما نجده مسطورا فى كتب الأدب والتاريخ

وجد مؤلفنا العالم الأديب الشاعر هو سنان الخفاجى العقيلى العامرى الذى كان له مجده فى قومه مما تغنى به شاعرنا الأمير ابن سنان فى شعره

ووالدته من أسرة مبارك التميمى أعز العرب من بنى تميم ، وفى ذلك يقول ابن سنان يهدد أحد خصومه :

---

(١) ص ٢٧ الديوان (٢) ص ١٢ من الديوان
(٣) ص ١٠ الديوان
(٤) راجع كتاب « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » الجزء الأول تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ونشر المطبعة الفاروقية الحديثة عام ١٩٥٠

مهلا فانك ما تعد « مباركا » خالا ولا تحصى سنانا والدا
بيت له النسب الجلى وغيره دعوى تريد أدلة وشواهدا

ويقول له :

ضلالك ما نسبت إلى « سنان » ولا ضربت خؤولك فى تميم

ويقول فى مجد جده سنان والربيع وأنه يعيش على الثروة التى خلفها له أجداده

ميراث قومى كفانى بعد عهدهم فتوى الظنون بإحرام وإحلال
سقى الربيع ربيع جاد هاطله بكل أسحم ضاف الذيل هطال
وخص رمس سنان من مواهبه ببارد كسلاف الخمر سلسال
فقد أعانا على زهد بميسرة وأغنيانى عن شد وترحال

أما محمد والد ابن سنان فلا نعلم عنه شيئا إلا فى قصيدة ذكر الديوان أنه نظمها فى صباه . ويقول فيها :

أنا ابن من لم يدع ذخرا لوارثه إلا الجياد وسمرا ذات زعزع

وابن سنان فى هذه القصيدة يعاتب قومه بنى خفاجة لاهمالهم أمره بعد موت والده[1] .. وإذا فنستطيع أن تقول إن والده توفى وابنه طفل صغير أو بعد أن جاوز عهد الطفولة بقليل..ولا ينبئنا التاريخ بشىء عن رجال بنى خفاجة فى حلب اللهم إلا ما نراه فى الديوان من هذه الأبيات التى كتبها الى ابن عمه القاضى أبى الحسن على ابن عبد المنعم بن سنان الخفاجى[2] .

وإذا فخلاصة ما نقوله فى أسرة ابن سنان أنها أسر كبيرة من فروع بنى حزن الخفاجيين أقامت بحلب وكان منها شاعرنا الأمير ابن سنان الخفاجى

ميلاده :

ولا نعلم كذلك شيئا عن ميلاد ابن سنان ولكننا نجد فى ديوانه

(١) راجع القصيدة فى ص ٦٣ من الديوان

(٢) راجع الابيات فى ص ٦١ من الديوان

قصيدة (١) لها نظمها عام ٤٤٣ ﻫ كما يقول الديوان وفيها هذه الأبيات :

إذا عامر فرعت فى العـــلا ولم يبق من فوقها مرتقى
علقت بأطراف ذاك النجار وجلت بعادية ذاك البنـــا
وقورا إذا طرقتنى الخطوب وحل من الخوف عقد النهى
بعشرين أنفقتها فى الصدود وجدت بها فى زمان النوى

يقول : أضعت من عمرى عشرين عاما وأنا أقارع فيها الخطوب المدلهمة وأثر فراق الآباء فى جلد وصبر ووقار

فقد كان عمره عام ٤٤٣ ﻫ عشرين عاما فيكون ميلاده نحو عام ٤٢٣ ﻫ (٢) ويؤيد ذلك هذه الرسالة التى كتبها ابن بطلان الى صديق له عام ٤٤٠ ﻫ تقريبا يصف له فيها حلب، ويقول «إن فيها شابا حدثا يعرف بأبى محمد ابن سنان الخفاجى قد ناهز العشرين رعلا فى الشعر طبقة المحنكين، وقد رواها معجم البلدان فى الكلام على حلب ونقلها عنه مؤلف اعلام النبلاء (٣)

نشأته :

توفى أبوه محمد وهو طفل صغير كما سبق أن ذكرناه . وقد نشأ الأمير نشأة علمية وأدبية كبيرة وكان من تلامذة أبى العـــلاء المعرى (٤) الفيلسوف الشاعر م ٤٤٩ ﻫ ، ويذكره الأمير كثيرا فى كتابه سر الفصاحة فيقول عنه : « شيخنا

---

(١) راجعها فى ص ٥ و ٦ من ديوانه

(٢) ويؤيد ذلك قوله فى قصيدة كتبها للهاشمى الشريف محمد سنة ٤٤٠ ﻫ

سبقت وما بلغت عشرا كواملا فكيف وقد جاوزتها بثمان

فيكون عمره عام ٤٤٠ ثمانية عشر عاما فيكون ميلاده عام ٤٢٢ ﻫ وهو قريب من التاريخ السابق.

(٣) ٣٣٣ جـ ١ اعلام النبلاء

(٤) راجع ١٠٦ جـ ٤ أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء

أبو العلاء (١). ولعل ابن سنان قد تتلمذ عليه في معرة النعمان وهي قريبة من حلب وقد أهلته هذه النشأة ليكون فيما بعد العالم الكبير والشاعر البليغ والمؤلف العظيم

حياته :

عاش ابن سنان في حلب في ظلال دولة بني صالح بن مرداس الكلابيين العامريين (٢) ومدح أمراءهم ورجال دولتهم بشعره وتوثقت صلاته بهم طول حياته إلى حد بعيد .

اتصل بالأمير أبي المغيث منقذ بن نصر بن منقذ (٣) ثم رثاه سنة ٣٣٩ وهو في سن السابعة عشرة من عمره بقصيدة منها بيتان في الديوان (٤) [راجع ٢٧ من الديوان] .

وفي عام ٤٤٠ هـ وابن سنان في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشر كما أرجح

---

(١) راجع سر الفصاحة ص ٦٧ وسواها من الصفحات .

(٢) ملوك هذه الدولة هم

صالح بن مرداس ٤٠٢ — ٤٢٠

نصر بن صالح ٤٢٠ — ٤٢٩

معز الدولة ثمال بن صالح ٤٣٤ ٤٤٩

عطية بن صالح ٤٥٢

محمود بن صالح ٤٥٢ ثم من ٤٥٤ — ٤٦٨

نصر بن محمود وقتل فخلفه سابق بن محمود الذي أخذ منه شرف الدولة ملكه عام ٤٧٢ هـ وقد تخلل حكم بني صالح لحلب فترات أخذها من أيديهم الفاطميون .

(٣) وهو جد أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) صاحب كتاب الاعتبار في التاريخ وكتاب لباب الآداب

(٤) يشير اليها أسامة في لباب الآداب ص ٣٦٨

اعتقل الشريف محمد الهاشمى فكتب اليه الأمير قصيدة طويلة [ص ١٠٦ - ١٠٨ من الديوان) يقول فيها .

سبقت وما بلغت عشرا كواملا فكيف وقد جاوزتها بثمانى
ولى فى قراع النائبات عوازم تريك بلوغ النجم بالزمــلان

الى أن يقول :

أخا هاشم كم قدتها ها شمية يخص بها من نقعها الملوان .

وهذه القصيدة تدل على روح شيعية تميل إلى العلويين وهى تؤكد ماروى عن شيعيته مما ذكره صاحب فوات الوفيات .

واتصل أيضا بشرف أمراء العرب الأمير أبى سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى من امراء دولة حلب الكلابيين ومدحه عام ٤٤٣ هـ وهو فى سن العشرين أو الحادية والعشرين بقصيدته (١) التى مطلعها

اذا حدت الريح عيس الحيا وهتك بالبرق ستر الدجى

ويقول فيها فى هذا الأمير .

فتى وجد العز حيث الحسام ومن دوحة المجد يجنى الردى
مدحتك أخطب منك الوداد اذا حاول القوم منك الغنى
ولى فى فخاركم شعبة وفى الأفق بدر الدجا والسها
علقت بأطراف ذاك النجار وجلت بعادية ذاك البنا

والأمير الشاب يرسم لنا فى قصيدته هذه صورة لنفسه الطموحة الأبية ولمجد قومه وأسرته بنى خفاجة العامريين أبناء أعمام أسرة حلب الحاكمة من بنى كلاب العامريين .

وله قصيدة أخرى (٢) له فى هذا العام أيضا عام ٤٤٣ هـ مطلعها :

يحاربنى فى كل نائبة دهرى كأن الرزايا تدرك الفخر فى قسرى
ومن دون ذلى عصبة عامرية يلوون أعطاف المثقفة السمر

---

(١) تجدها فى ص ٥ و ٦ من الديوان .

(٢) تجدها فى ص ٣٧ وما بعدها من الديوان .

أو له قصيدة ثالثة يمدح بها في شبابه الأمير عز الدولة (١) نفسه وله فيه قصائد كثيرة أخرى سنشير إليها في هذه المكلمة لنفهم روحه وشخصيته في كل مرحلة من أطوار حياته الحافلة العظيمة

وفى عام ٤٤٤ ﻫ وابن سنان فى سن الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين اتصل بمعز الدولة ثمال الكلابي ومدحه بقصيدته (٢) التى يقول فيها :

أرى إبلى شوارع من قنوعى ... موارد ما يبل بهــــا غليل
ولم تعرف لمصعبهـــا قيود ... ولم يملك لشاردها جديل
وآمالى مطوحـة بطـــاء ... يناوع دونهـــا قدر مطول
وما يسمو الزمان إلى قراعى ... وظل جنابـــكم ابدا ظليل

والقصيدة تدل على طموح الشاعر فى هذه الفترة من حياته رغبة فى المجـــد السياسى وفخار الولايات لا طمعا فى مال وثروة

وفى عام ٤٤٦ ﻫ والشاعر فى سن الرابعة والعشرين من عمره توفيت والدته بعد عودتها من الحج فحزن عليها حزنا عميقا ورثاها بقصيدته (٣) التى مطلعها :

ابكيك لو نقع الغليل بحقك أدمع ... وأقول لو أن النوائب تسمع

وهى قصيدة حافلة بالذكريات الحزينة التى مرت على الأمير ووجد أثرها فى نفسه وفى قومه

وفى هذا العام اتصل بالأمير عز الدولة ثابت ابن معز الدولة الكلابى ومظهر هذه الصداقة قصيدته (٤) التى يقول فى مطلعها

أتظن الورق فى الأيك تغنى ... أنها تضمر حزنا مثل حزنى

ويقول فيها : قد رضينا بإباء عن غنى ... وبعز اليأس عن ذل التمنى

---

(١) نجدها فى الديوان ص ٨١ وما بعدها
(٢) نجدها فى الديوان ص ٦١ وما بعدها
(٣) نجدها فى الديوان ص ٣٩ وما بعدها
(٤) راجعها فى الديوان ص ١٠٤ وما بعدها

وله فى هذا الأمير قصيدة [1] أخرى مدحه بها عام ٤٤٨ ﻫ وهو فى سن السادسة والعشرين

وفى عام ٤٤٩ توفى استاذه الفيلسوف أبو العـــلاء المعرى فحزن عليه حزنا عميقا وقصائده فى رثائه مفقودة وقصيدته الرائية (٣٥ من الديوان) التى رثى فيها جماعة من أهل واصدقائه فيها حزن عميق على فيلسوف المعرة ابى العلاء . وفى هذا العام ايضا بلغت شهرته الأدبية الى دولة بنى اسد فى الحلة فأرسل ظهير الدولة ابن عبد الرحيم وزير أبى الأغر الأسدى (ملك الحلة وضواحيها من عام ٤٠٨ الى عام ٤٧٤ ﻫ) يسأله أن يرسل له قصائد من شعره فيعث ابن سنان الخفاجى إليه بعدة قصائد ومعها قصيدة [2] فى الاشادة به يقول فيها ابن سنان .

قل للأمير أبى الأغر ودونه ... للطالبين سباسب وهجـــول

يثوى ابن عمك بالعراق وقومه ... كالذود حن وخـله معقـول

ما صدهم عنك الجفاء وإنمـا ... مالوا مع الأيام حيث تميل

وابن سنان فى هذه القصيدة يريد أن يؤكد للوزير ان قلبه وقلوب قومه الخفاجيين مع ابن عمه الأسدى ملك الحلة

فما الذى حال بين ابن سنان وبين الاخلاص لبنى أعمامه الكلابيين العامريين ملوك حلب الشهباء ؟

والجواب عن ذلك سهل يسير فالأمير طموح متطلع الى المجد السياسى ينشد له دولة وسلطانا وولاية تخفق فيها فوق رأسه الرايات كما يقول فى إحدى قصائده

أرأيتما مثـلى يرام قيـاده ... من بعد ما نشط العقـال وجرجرا

ويسام أن يرضى الخمول وقد أبى ... إيماض وجه الصبح أن يتسترا

وكما يقول فى احدى قصائده :

أعنى على نيل الكواكب فى العلا ... فأنت الذى صيرتها من مآربى

(١) راجعها فى الديوان ص ٨٤ وما بعدها

(٢) راجعها فى الديوان ص ٧٩ وما بعدها

وفى عام ٤٥٠ هـ والشاعر فى سن الثامنة والعشرين من عمره كانت حلب فى يد الفاطميين الذين استولوا عليها فى حرب طاحنة وأخذوها من يد معز الدولة الكلابى عام ٤٤٩ هـ وكان أميرها من قبل الفاطميين هو مكين الدولة ابن ملهم فاتصل به الخفاجى ومدحه بقصيدة انشده إياها فى حلب عام ٤٥٠ هـ [١] ، ويقول فيها متحدثا عن نفسه

ومشتت العزمات ينفق عمره   حيران لاظفر ولا إخفاق
أمل يلوح اليأس فى أثنائه   وغنى يشف وراءه الاملاق
يمرى عفافة ثروة لو أنها   نوم لما شعرت به الاحداق
وتروقه خدع المنى فكأنها   حق وكاذب وعدها ميثاق

وهذه الأبيات تدل على نفسه الطامحة المخفقة فى طموحها وآمالها فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ حياة الأمير

وفى هذا العام أيضا عام ٤٥٠ هـ توفى صديقه ابو المتوج مخلص الدولة مقلد ابن نصر فرثاه بقصيدته [٢] التى يقول فى مطلعها

حيتك السماء بأمطارها   وكيف تضن على جارها[٣]

وظل نفوذ الفاطميين فى حلب بين مد وجزر الى عام ٤٥٣ هـ حتى استردها الكلابيون من أيديهم

وفى عام ٤٥٣ هـ والشاعر فى سن الحادية والثلاثين سافر ابن سنان من حلب الى القسطنطينية ولا ندرى سبب هذه الرحلة ولا ظروفها ، وقد أرسل الأمير الخفاجى من القسطنطينية الى اخوانه فى حلب أربعة قصائد — ربما يكون فى فهمها ما يكشف لنا أسرار هذه الرحلة الغريبة .

---

(١) راجعها فى الديوان ص ٧٥ وما بعدها

(٢) راجعها فى الديوان ص ٥٣ وما بعدها

(٣) وكانت بينه وبين الخفاجى صلات وثيقة تجد مظهرها فى قصيدته الحائية التى تجدها فى الديوان ص ١٩ وما بعدها وهى قصيدة رائعة بليغة

ا — وأولى هذه القصائد هي القصيدة التي ذكر الديوان أنه كتبها وهو في القسطنطينية وأرسلها الى ابن ملهم (والى حلب من قبل الفاطميين سنة ٤٥٢) ويقول الشاعر في هذه القصيدة

وأسفى من رحلة طوحت فيها الى الروم الأعاريب
قادني الدهر إليها ومن يجاذب الأقدار مغلوب

ويقول فيها في مدح بني ملهم :

ذوائبه من عامر ضمها بيت على الجوزاء مضروب
لهم إذا أمهم سائل فن من الجود وأسلوب
أبعدني منك زمان له في طلبي وخد وتقريب[1]

ب — والقصيدة الثانية هي قصيدة تائية فيها دعابة ورقة وخفة روح ارسلها من القسطنطينية يداعب بها بعض أبناء أعمامه ويقول فيها :

أأغيب عن حلب ثلاثة أشهر لم تكتبوا فيها إلى بلفظة
قلتم شغلنا بالحصار وصدنا ما كان بعدك من معز الدولة[2]
لو شئت أهرب مرة من عندكم ما كنت أقصد غير قسطنطينية
ولأكتبن اذا شططت اليكم من دير أرمانوس بالروحية
أبلغ أبا الحسن السلام وقل له هذا الجفاء عداوة للشيعة
ولأجلسنك للقضية بيننا في يوم عاشوراء بالشرقية
دع ذا وقل لي أنت يابن محسن وجفاء مثلك من تمام الحرقة
ما كان حقك أن تمل وانما تاريخ وصلك من حصار القلعة
كانت ولايتك التي دبرتني فيها كمثل الخدمة الرجبية

---

(١) راجع القصيدة في ص ٩ وما بعدها من الديوان

(٢) هو معز الدولة ثمال بن صالح الكلابي الذي أخذ الفاطميون منه حلب عام ٤٤٩ وسار الى مصر فأقام فيها في ظلال الفاطميين ثم ارسلوه عام ٣٥٢ لأخذ حلب من ابن أخيه محمود لحاصرها سنة ٤٥٢ وأخذها وحكمها الى وفاته عام ٤٥٤ حتى استردها الكلابيون

صاح الغراب بنا ففرق شملنا   قدر رمت فيه الخطوب فأصمت [١]

وتدل هذه القصيدة على أن ابن محسن الخفاجي وابن سنان الخفاجي قد انتهزا فرصة الخلافات السياسية على ملك حلب بين الفاطميين والكلابيين فثارا بها أو ببعض ولايات حلب وأقام له هو [illegible] ان [illegible]يها دولة ثم غلبا على أمرهما ففر الأمير ابن سنان الى القسطنطينية خوفا من أن يفتك به أحد ، والقصيدة تدل بعد ذلك على روح شيعية مؤمنة بشيعيتها

حـ — والقصيدة الثالثة نظمها وهو فى طريقه الى القسطنطينية فى رثاء مؤتمن الدولة أبى طاهر بمصر [٢]

د — والقصيدة الرابعة أرسلها من القسطنطينية الى الوزير فخر الدولة ابن جهير بميا فارقين [٣]

وعلى أى حال فرحلة ابن سنان الى القسطنطينية لم تطل ، وعاد منها بعد موت معز الدولة الكلابى سنة ٤٥٤

وفى عام ٤٥٥ والشاعر فى سن الثالثة والثلاثين قلد صديقه الأمير نصير الملك ابن ملهم ولاية طبرية وعكا وجعل أميرا على بنى سليم وفزارة القيسيين فمدحه ابن سنان الخفاجى بقصيدته الرائية (ص ٤٨ وما بعدها من الديوان) فى ربيع الأول من هذا العام ، وفى أواخر هذا العام نفسه عقد حلف بين فزارة وسليم

---

(١) راجع القصيدة فى الديوان ص ١٧ وما بعدها

(٢) راجع القصيدة فى الديوان ص ٦٦ وما بعدها

(٣) ويقول فيها

يا برق طالع من شبية جوشن   حلبا وحى كريمة من أهلها

مالى وللأقدار ضاق بصرفها   ذرعى وما ظفرت يداى بنيلها

(ص ٨٦ وما بعدها من الديوان)

القيسيين وبين الكلبيين فمدح ابن سنان صديقه الأمير ابن ملهم بقصيدة (١) فى ذى الحجة عام ٤٥٥

ويدل ذلك على ان ابن سنان حين عاد من القسطنطينية لم يقصد حلبا وانما قصد ولاية صديقه الامير ابن ملهم وأقام معه فيها من عام ٤٥٤

وفى عام ٤٥٦ ه توفى صديقه ابو العـــلاء صاعد الـكاتب بانطاكية فرثاه ابن سنان الخفاجى بثلاث مراث رائعة

اولاها عينيته التى تراها فى ديوانه ص ٦٤

والاخرى قصيدته القافية التى تراها فى ديوانه ايضا ص ٧٧

والثالثة ابيات ذكرها الديوان فى ص ٩٩

وفى هذه الاثناء كان ابن سنان مقيما فى انطاكية بعد أن فارق ولاية صديقه الامير ابن ملهم وكانت انطاكية حينئذ فى يد الروم

وكان بين ابى العلاء الـكاتب وبين الامير ابن سنان الخفاجى صداقة وطيدة من بدء عهد الصبا نجد مظهرها فى قصيدته البائية (٢) التى كتبها فى صباه الى أبى العلاء ويقول فيها

فقل لجناب بالغوير تضوعت ... عليك الخزامى وهى تلعب باللب

سقاك رسيل الدمع تحسب جوده ... أكف الخفاجيين فاضحة السحب

وفى خلال وجود ابن سنان بانطاكية تشوق إلى بلاده حلب الشهباء وضواحيها فأرسل الى صديقه الامير سعد الدولة ابى الحسن على بن منقذ الـكنانى وأحد اصدقاء امير حلب محمود الـكلابى عدة قصائد منها : قصيدته الدالية (٣) التى ارسلها من انطاكية إليه والتى يقول فيها :

---

(١) راجعها فى الديوان ص ٧١

(٢) ص ١٢ الديوان

(٣) ٢٦ الديوان

عذيرى من الروم جار الفراق ... على بحكمهم واعتدى
دعوتك من أرضهم عاتبا ... فناهلتنى ذلك الموردا
لعل مقالك هذا الطويل ... يكون لحينهم موعدا
فهل عند رأيك من حيلة ... تغيث بها هائما مفردا
فقد طالما أنقذتنى يداك ... وقد علقتنى حبال الردى

وله اليه قصيدة أخرى (١) يقول فيها .

بينى وبينك حرمة ماغا لها ... ولع الخطوب، وذمة لم تخفر
ومودة مزجت بأيام الصبا ... ورأت تغيره فلم تتغير
اهون به ماكنت يا ابن مقلد ... عونى عليه وكان قومك معشرى

وكتب اليه الأمير ابن منقذ (٢) :

فما بالكم لا أوحش الله منكم ... مواطن فيها للذمام وفاء
رفعتم منار الغدر بعد هبوطه ... وأخفق منكم مطلب ورجاء
أخصك عبد الله من بينهم فما ... اقول وما عندى عليه غطاء
ومابك الا إن ملكت فلا تقل ... شؤونى فيها دقة وخفاء

وابن منقذ يصرح هنا بكل ما يعرفه عن ابن سنان الخفاجى ويقول له انك لا تريد الا الملك ولاتطمع فى شىء سواه

فأجابه ابن سنان بقصيدة (٣) طويلة يقول منها :

على أى حكم فيك أعجب للغدر ... وما أنت إلا واحد من بنى الدهر
عهدتك مطراق الهوى كل ليلة ... تروح إلى وصل وتعدو إلى هجر
رضاك على سخط وصفوك فى قذى ... وحبك من بغض وحلمك عن غمر
فما لك ترمينى بعتب جهلته ... فلم أر فيه وجه ذنبى ولا عذرى

---

(١) ٣٠ وما بعدها من الديوان
(٢) من قصيدة تراها فى ص ٧ وما بعدها من الديوان
(٣) ص ٥٥ وما بعدها من الديوان

وكيف أضاقنى الخطوب وطوحت   بلى حتى صرت أجنى ولا أدرى

وكتب اليه الأمير أبو الحسن قصيدتين أخريين أجابه عليهما ابن سنان[1] ثم كتب ابن سنان اليه قصيدة أخرى [2] يقول فيها :

لو وفيتم واصلتمونا على   عهد وكان التقاؤنا باتفاق
لا بأمر السلطان قسرا اذ   استدعى بنى جعفر إلى الانفاق
أو بحكم المودعين اذا عن   له أن يسير نحو العراق
ثم ياصاحب الجناية منهم   قد لقينا فى البعد ما لم تلاقى

وهى أبيات غامضة لم نهتد بعد إلى سرها التاريخى الذى يفسر لنا مشكلات حياة الخفاجى فى هذه الفترة الحافلة. وعلى أى حال فقد عاد ابن سنان الخفاجى إلى حلب ومدح أميرها محمود بن صالح بن مرداس فى صفر عام ٤٥٧ بقصيدته [3] التى يقول فيها :

أأحبا بنا بين الأحص وجوشن   دعاء معنى بالفراق صريعه
مقيم على الحب الذى تعرفونه   وان جهدت أفعالكم فى نزوعه
اذا كان خوف الضيم أبعد داره   فلا تطمعوا فى قربه ورجوعه
فما هى إلا نحوة عامرية   تعلقها من (حزنه) و (ربيعه)[4]
لحى الله من يرضى الدنية واصلا   لهاجره أو حافظا لمضيعه
وأين زميل الأرحبية فى الدجى   وأخذ السرى من نيها وهزيعه
ونصرة محمود بن نصر فلم تكن   بعازبة عن تربه وربيعه
نزلت على رحب الفناء مريعه   ولذت بعادى البناء رفيعه

---

(١) راجع الديوان ص ٣٠ و ص ٥٨
(٢) راجع الديوان ص ٧٧ وما بعدها .
(٣) راجع الديوان ص ٦٩ وما بعدها .
(٤) هما من أجداد ابن سنان من قبيلته الخفاجيين

فمذ سمح الدهر البخيل بغربة صفحنا له عما مضى من صنيعه
ولى فيك آمال طوال ترددت بقلب جميل الظن فيك وسيعه

ثم مدحه فى هذا العام نفسه بقصيدته التى مطلعها .

أبى الله ألا يكون لك السعد فليس لما تبغيه منع ولا رد

ومنها .

هنيئا لك النصر الذى نلت حقه بسمر العوالى لاتراث ولا رفد

وابن سنان يهنئه فى هذه القصيدة بانتصاره على الثائرين عليه الذين أخذوا حلب من يده .

وفى عام ٤٥٨ والشاعر فى سن السادسة والثلاثين من عمره مدح محمودا أمير حلب بقصيدته(١) التى يقول فيها :

أحييت سيوفك ميت العز فى مصر وأسفرت بسناها عنهم الظلم

وأقام فى ظله يؤمل أن يقلده ولاية اقليم من الأقاليم التابعة لدولة حلب ولكن محمودا لم يفعل فنظم ابن سنان سنة ٤٥٩ قصيدة(٢) مطلعها :

ما على احسانكم لو أحسنا إنما نسأل شيئا هينا

ويقول فيها :

لا أرى عنبك الاظاهرا غير شكوى عاشق ما أعلنا
انكروا حرصى على السلم وما ادعى أنى أحب الفتنا
كيف يهوى الحرب من ان فزتم لم يكن بالخير منكم قمنا

الى آخر ما يقول ، وتدل هذه القصيدة على أن اعداء الامير ابن سنان حذروا أمير حلب منه وأوهموه أنه سيثور عليه فحاول ابن سنان رد هذه الوشاية

وفى نفس العام عام ٤٥٩ هـ خرج الامير محمود بجيش الى طرابلس وخرج معه الامير ابو الحسن ابن منقذ وقائده ابن ابى الثر ولم يستدع ابن سنان

(١) ص ١٠٢ وما بعدها من الديوان .

(٢) ص ١١١ وما بعدها من الديوان .

الخفاجي معه فأرسل ابن سنان الى ابن منقذ قصيدة (١) يعاتبه فيها هو والأمير محمود ويقول منها :

حفظ الله معشرا ضيعوا العهد وحالوا فى سائر الأحوال
كان شملى بهم جميعا ولكن فرقت بيننا صروف الليالى
أى شىء الى من أمرهم حتى يكون ارتحالهم بارتحالى
ومن السخف والرقاعة تطفيلى بنفسى عليهم فى القتال
ومسيرى أدب فى ظهر عجفاء تبارى أعضاءها بالهزال
عاطلا من جميع ما يصحب الناس ويارب عاطل وهو حالى
ليس غير المقام أستر بالجد ران ما يعلمون من اقلالى
يا أجل الملوك عما وخالا عند ذكر الأعمام والأخوال
ومثير الحرب العوان من المهدى الى يوم وقعة الدجال
ليت شعرى بأى شىء أداريك فقد قل فى رضاك احتيالى
ليس يغنى جدى ولا ينفع الهزل سوى أن أعد فى الجهال
ثقل الناس فى الطلاب وخففت بجهدى عليك من أثقالى
ما لخلاتى الصغيرة لا تدخل معكم فى حجلة الأعدال
أتراني أرضى بهذا وفى الدنيا ظهور للفلا وايدى الجبال
افتحوا دونى الطريق وردوا لى الى عسقلان بدر الحجال
ودعونى أصبح عند ابن حمدان صباحا يشق حلو السلال
ما اتفقنا إلى على صحبة الدهر ولكن بدالكم فبدالى

والقصيدة تفيض عاطفة وقوة وتدل على أن روح الوئام قد تغير بين الخفاجى والأمير محمود

---

(١) ١١ ومابعدها من الديوان

وعزم ابن سنان الخفاجى على الخروج من حلب الى ولاية ابن حمدان عام ٤٥٩ هـ فاهدى اليه قصيدته[1]

أأحبابنا هل تسمعون على النوى تحية عان أو شكية عاتب
وما أدعى انى احن اليكم وينفنى الأعداء من كل جانب
جزى الله عنى العيس خيرا فطالما فرقت بها بينى وبين النوائب

الى ان يقول فى ابن حمدان :

يظن العدى انى مدحتك للغنى وما الشعر عندى من كريم المكاسب
أعنى على نيل الكواكب فى العلا فأنت الذى صيرتها من مطالبى

فهو يطلب منه ان يساعده على بلوغ آماله العظيمة فى مجد الحياة وسلطانها :
ثم أهدى الخفاجى الى ابن حمدان قصيدة [2] اخرى فى رمضان عام سنة ٤٥٩ يشكره فيها على جميل فعله مع أهله ويقول :

جادت لقومى سحاب منك هاطلة ما غيبت منة منها وقد حضروا
شكرت عنهم وان أحسنت عندهم فاننى ناظم بعض الذى نثروا
وغادرتنى صروف الدهر بعدهم كالصل أطرق لا ناب ولا ظفر
فى بلدة تحتوى الأحرار ساحتها فما لهم وطن فيها ولا وطر
فهل لرأيك ان ينتاش مطرحا له من الفضل ذنب ليس يغتفر

ثم أهدى اليه قصيدة [3] أخرى فى نفس عام ٤٥٩ يمدحه بها ويذكر إطلاقه حميد بن محمود وحازم بن على بن جراح من الاعتقال ويقول فى هذه القصيدة

ولى همة لو أبعد الله دارها عن الشام لم يعرف لمثلى نظيرها
ومنها : أعدتم على طى حميدا وحازما فأمرع واديها وفاض غديرها
وما فاتنى خير نداك كله ولا غبت عن نعمى وقومى حضورها

---

(١) ٩٤ ومابعدها من الديوان
(٢) ٤٣ وما بعدها من الديوان
(٣) ٤٦ وما بعدها من الديوان

ولكن امير حلب عاد فاسترضى ابن سنان الخفاجى سنة ٤٦٠ فعرض أليه بآماله فى قصيدته (١) فيه التى يقول منها :

أهون بشعرى بعد ما سبقت مدحى اليـك ذرائع أخر
فلطالما فاضت يداك على قـوم وما نظموا ولا نثروا
ما أخرتنى عنهم قدم لو كان فى وفيهم نظر
لكنه قدر رضيت به قسرا وكيف يغالب القدر
بينى وبين الحظ داجية عمياء لا نجم ولا سحر

وتوسط وزير الامير محمود بينه وبين ابن سنان الخفاجى حتى قلده ولاية قلعة عزاز فى آخر عام ٤٦٠ ﻫ

واستقر ابن سنان الخفاجى بها . وفى صفر عام ٤٦١ وصل ملك الروم الى ضواحيها ولكنه انصرف عنها فكتب ابن سنان الخفاجى إلى الأمير محمود قصيدة (٢) يذكر له فيها ذلك ويشيد به

وفى منتصف عام ٤٦١ سار الامير محمود الى حصن « اسفونا » بجيش كبير فأرسل اليه الخفاجى قصيدة ينوه فيها بهذا الحادث التاريخى (٣)

وفى عام ٤٦٣ أرسل اليه أيضا قصيدة(٤) شعرية من قلعة عزاز. وفى عام٤٦٣ دعا الأمير محمود للخليفة العباسى القائم فى حلب فأشاد الخفاجى بهذا فىقصيدة(٥) أرسلها من قلعة عزاز الى حلب

وبعد ذلك شق ابن سنان الخفاجى عصا الطاعة على الأمير محمود واستقل

---

(١) ٤١ وما بعدها من الديوان
(٢) ١٠٣ وما بعدها من الديوان
(٣) ١١٣ وما بعدها من الديوان
(٤) ١١٣ من الديوان
(٥) ٩٦ من الديوان، ٢٤/١٠ ابن الاثير، ٣٣٩/١ أعلام النبلاء

بولاية عزاز فتحايل عليه الامير محمود حتى أرسـل السم إليه بواسطة وزيره ابن النحاس عام ٤٦٦ هـ فمات وحملت جثته الى حلب فدفن بها [1]

وهكذا انتهت حياة حافلة بالطموح والمجد والآباء والعزة احتذى صاحبها حذو الآباء والاجداد؛ فرحمه الله وأكرم مثواه ، وجعل الفردوس مأواه مع الملائكة والشهداء والصالحين

وبعد فهذه الحياة الحافلة للامير ابن سنان الخفاجي كانت مطمورة فى ثنايا التاريخ البعيد المجهول فكشفنا عنها النقاب بدر استنا هذه لعصره ولشعره دراسة مستفيضة

ثقافة ابن سنـان

وثقافة ابن سنان ثقافة واسعة منوعة :

فهو أديب ملم بالأدب متذوق له ، وهو علم من أعلام النقد الأدبى كما يتجلى ذلك من كتابه سر الفصاحة ؛ وهو شاعر مبدع ملهم تتجلى فى شعره سمات الشاعرية المجددة الساحرة ، وهو فوق ذلك كله عالم ملم بشتى العقائد والفلسفات والمذاهب العقلية والدينية كما يتجلى ذلك فى كتابه « سر الفصاحة » وفى كثير من شعره ، وكان ينتصر للرأى القائل بأن سبب اعجاز القرآن هو أن الله عز وجل صرف العرب وسواهم عن معارضته وقد أيد هذا الرأى فى كتابه سر الفصاحة وألف فيه كتابا سماه الصرفة [2] ، وهو فوق ذلك العلم الفذ فى البلاغة ، وكتابه يعد أول تأليف مفصل فى علوم البلاغة والبيـان وأجمع دراسة لشتى ألوان البلاغة وفنونها وصورها وجميع أسبابها من اللفظ والمعنى والتأليف والنظام

وكل هذه الثقافات تدل على عقلية واسعة عميقة ولا شك أن مما نماها فيه تلمذته على أستاذه ابى العلاء وسواه من علماء العربية وأدبائها فوق عكوفه على

(١) راجع ٢ و ٣ من الديوان ؛ ٢٢٣ جـ ١ فوات الوفيات

(٢) راجع ١٢٩ جـ ٣ معجم الادباء وقد نقل عنه ياقوت

المطالعة والقراءة والبحث والتأليف ، وفى أستاذه المعرى يقول من قصيدة رثى بها جماعة من أهله وأصدقائه

ومقيما على المعرة تطويه الليالى وذكره منشور [1]

مؤلفات ابن سنان :

وقد الف ابن سنان الكتب الآتية .

١ — سر الفصاحة .

٢ — كتاب الصرفة ذكر فيه قضية إعجاز القرآن وأن سبب الاعجاز هو صرف الله العرب عن معارضته [2]

ومذهب الصرفة ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام المعتزلى وقد جرى الكلام به على ألسنة قوم قبله من أشهرهم عيسى بن صبيح المزدار المعتزلى البغدادى . وكان الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين يقول قولا قريبا من ذلك . وقد رجح هذا المذهب ابن سنان فى كتابه .

٣ — وله ديوان شعر صغير .

الى غير ذلك من كتبه المفقودة.

شعر ابن سنان وشاعريته

وابن سنان شاعر مشهور ، وله ديوان شعر يقع فى ست عشرة ومائة صفحة ، ويمتاز شعره بامتلائه بالمعانى والأفكار العقلية وبقوته وجمال العاطفة فيه وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه ، وسندرسه دراسة واسعة فى كتاب مستقل اذا وفق الله .

ونشير فى هذا المقام إلى أن البارودى قد جمل فى مختاراته ابن سنان من الشعراء الذين نقل عنهم من شعرهم .

فذكر له نحو ٧٨٥ بيتا، منها :

---

(١) ص ٢٥ من الديوان

(٢) ١٣٩ ج ٣ معجم الادباء

١٠ في الأدب
٥٨٧ في المديح
٥٦ في الرثاء
١١ في الصفات
١١٦ في النسيب
٢ في الهجاء
٣ في الزهد

وكان من الشعراء الذين عاصروا ابن سنان في حلب: ابو الفتح بن أبي حصينة المتوفى عام ٤٥٦ (راجع ١٨٨ ج ٤ أعلام النبلاء)

ومنهم أبو العباس الملقب بالمشكور (راجع ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ١ أعلام النبلاء) وسواهما من الشعراء

ومن ديوانه نسخة خطية بدار الكتب وطبع الديوان ببيروت في ١١٩ صفحة

وشعر ابن سنان الخفاجي كله مختار جيد لا سيما ما نظمه من بعد عصر صباه وهو مظهر لشخصيته في يأسه وأمله وفقره وغناه وظفره وفشله وفي فضائله الخلقية الكريمة وفي طموحه البعيد الوثاب وفي نظراته الفلسفية التي استمدها من أستاذه ابي العلاء

وهو في رثائه وفي عتابه وفي غزله وفي مدحه وفي وصفه وفي التعبير عن وجداناته وعواطفه رائع بالغ حدود الجمال الفني والعاطفي

ولا مانع من ان نعرض هنا عدة نماذج لشعر ابن سنان:

قال الخفاجي

ايها النوام ويحكم قد حملنا عنكم السهرا
نحن في ظلماء داجية ما لها صبح فينتظر
فجرها والصبر بعدهم ما سمعنا عنهما خبرا

وقال من قصيدة يرثى بها جماعة من أهله وأصدقائه

طلب الأمن فى الزمان عسير وحديث المنى خداع وزور
لاتظن الفقيد أفرده البين فقــــد أعجل المقيم المسير
ان فى جانب المقطم مهجورا ومن أجله تزار القبـــور
ومقيما على المعرة[1] تطويه الليالى وذكره منشور
وضريحين بالعواصم مبذولين والصبر عنهما محظور
وغريبا بالدير بان له العيش
وغاض الندى ومات السرور
صارم فلت النوائب حديه
وغصن تحت الثرى مهجور
أيها الظاعنون لا زال للغيث رواح عليكم وبكور
لست أرضى بالدمع فيكم فهل
يملك رى البحور الا البحور
قد رأينــا دياركم وعليها
أثر من عفاتكم مهجور
وسألنـــا أطلالها فأجابت
ومن الصمت واعظ ونذير
عرصات كأنهن ليـــال فارقتها عند الكمال البدور
ياديار الاحباب غيرك الدهر فكانت بعد الامور أمور
اين أيامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

(١) هو استاذه المعرى الفيلسوف الشاعر م ٤٤٩ ه

نشوة أعقبت خمـــارا من الهم ... ولـكن قـــد يفرق المخمور
يا نجوم العلى غربتم وما فى ... الليل من بعدكم نجوم تغور
حال عما عهد تموه ولم ... يجر على رسمه الصباح المنير
وعفا الجود فالـكريم بخيـــل ... فى الملمات والغنى فقـــير
لا يجاوركم الصعيد بسوء ... فهو للمازلين بئس المجير
وسقاكم من السحاب صناع ... الـكف يسدى فى روضكم وينير
ما أرى الشعر كافيا فى مراثيكم ... ولـكن قد ينفث المصدور

وقال

يا خجلتى للطيف لما سرى ... فى خطر الليل الى ســـاهر
زيارة ضـــاعت ولـكنها ... جنـــاية الشوق على الزائر

وقال :

لى راحة يفرق منهـــا الغنى ... لأن ما ينزلهـــا يستباح
لا بد أن أعمرها بالقنا ... فطالما أقفرتها بالسماح

وقال :

تجاهلت حتى أنـكرتنى خفاجة ... وقالت : وهل ضل الأغر المشيع ؟

وقال فى صباه

وحى من خفاجة رحت فيه ... على جرداء حالية الاديم
اباح الخمر فيه حمى همومى ... فأشربها وتفتك بالنديم

وقال : فى مقامه بديار بكر من قصيدة طويلة :

سقى الهضبة الأدماء من ارض جوشن ... سحائب تسدى روضه وتنير
وحل عقود المزن فى حجراته ... نسيم بأدواء القلوب خبير
فاذكرته النفس الاتبادرت ... مدامع لا يخفى بهن ضمير

سر الفصاحة

دراسة وتحليل للكتاب وأثره فى دراسات البلاغة

— ١ —

سر الفصاحة كتاب جليل، عظيم الخطر، كبير الأثر فى بحوث النقد والبلاغة، مشهور بين العلماء، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق

مؤلفه علم من أعلام النقد والبلاغة فى القرن الخامس الهجرى، هو ابن سنان الخفاجى ٤٢٢ — ٤٦٦ هـ

— ٢ —

و « سر الفصاحة » بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة

تكلم فيه الخفاجى على اللغة ثم على الحروف ثم على الالفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها ثم على الالفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ثم على المعانى المفردة وما يجب أن تكون عليه فى التأليف ليكون الكلام موائمـــا للعقل والتفكير

بدأه الخفاجى بمقدمة أبان فيها ان الغرض من كتابه معرفة حقيقة الفصاحة وسرها لما للبلاغة والفصاحة ومعرفتهما من تأثير بعيد فى العلوم الادبية ولأنهما اللذان يكشفان عن سر الاعجاز فى الذكر الحكيم

لذلك بدأ بحثه فى الكلام على الصوت وتحديد معناه وخصائصه وأنه يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفا

ثم تكلم على الحروف ومعناها وأن عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا وأن المبرد يجعلها ثمانية وعشرين لأنه لا يعتد بالهمزة، وأن هذه الحروف

يحسن استعمال بعضها فى الكلام الفصيح ولا يحسن استعمال البعض الآخر؛ وأبان مقاطع الحروف وصفاتها

ثم حدد معنى الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن تصح منه الافادة ؛ ذاهبا الى أنه يشمل المفيد وغيره ، مخالفا لمن رأى قصره على المفيد ، وأبان فساد رأى الجبائى من أن جنس الكلام يخالف جنس الصوت كما أبان فساد رأى المجبرة التى تزعم أن الكلام معنى فى النفس ، ثم ذكر أقسام الكلام ، وان المفيد من الكلام منه حقيقة ومجاز ، وأنه كله يرجع الى معنى الخبر ، كما أبان ان المتكلم من وقع منه الكلام قصدا ، وأن الحكاية هى المحكى عند قوم ، فالتالى للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة ، وهى غير المحكى عند قوم آخرين وإن كانت مثله وانتصر لهذا الرأى .

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها أمواضعة ام توقيف وانتصر للرأى القائل إن أساس اللغة مواضعة واصطلاح ، وأن العقلاء استعانوا على هذه المواضعة بالحروف لسهولتها وتكلم على فضل اللغة العربية ومميزاتها وخصائصها ، وذكر أقسام تأليف الحروف وأن منه ما هو تأليف من الحروف المتباعدة مخرجا وهو الاحسن ومنه ما هو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل أو منبوذ

ثم تكلم على الفصاحة وانها مقصورة على الالفاظ بعكس البلاغة فهى وصف للألفاظ مع المعانى ، وأبان عن شرف الفصاحة وأنها صفة للألفاظ متى ما استكملت عناصر عدة ؛ وأنه متى تكاملت تلك العناصر فلا مزيد على فصاحة الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ نصيبها من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الذم بأنها غير فصيحة ، وذكر أن تلك العناصر والشروط قسمان :

١ — ما يوجد فى اللفظة الواحدة على انفرادها

٢ — وما يوجد فى الالفاظ المنظومة

ا — فأما ما يجب ان يوجد فى اللفظة المفردة فثمانية عناصر :

١ — ان يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج

٢ — ان يكون لتأليفها فى السمع حسن ومزية على غيرها

٣ ــ ان تكون الكلمة غير متوعرة وحشية، ونقدهنا رأى من مدح المعرى بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الادباء

٤ ـ ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية

٥ ـ ان تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح

٦ ـ ان لا تكون قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره

٧ ـ ان تكون الكلمة غير كثيرة الحروف

٨ ـ ان تكون مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شىء لطيف أو خفى

ب ـ وأما عناصر الفصاحة فى الألفاظ المؤلفة :

ا ـ فنها ما تشترك فيه مع الالفاظ المفردة وهى [1] :

١ ــ اجتناب تكرار الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام ويرى ابن سنان ان التأليف على ضربين فقط : متلائم ومتنافر، والمتلائم درجات ولا فرق بين القرآن وغيره فى ذلك ؛ وأبان أن وجه الاعجاز هو صرف الله العرب عن الاتيان بمثله وناقش رأى الرمانى الذى ذهب فيه الى أن تباعد الحروف فى المخرج تباعدا شديدا مدعاة للتنافر كتقارب الحروف، وذهب الخفاجى الى الثانى فقط

٢ ـ ان يكون التأليف جاريا على العرف العربى الصحيح

٣ ـ ان لا يكون التأليف قد عبر به عن أمر آخر يكره ذكره

ب ـ ومنها ما يختص به التأليف مما يرجع الى الألفاظ بانفرادها أو اشتراكها مع المعانى

---

(١) وقبل ان يذكر الخفاجى ذلك يوضح أن تاليف الكلام صناعة موضوعها هو الكلام مخالفا لقدامة الذى ذهب الى ان موضوعها المعانى، وان الفصاحة عبارة عن حسن التأليف فى الموضوع المختار، ولذلك بدأ يتكلم على التأليف ووجوه حسنه او قبحه ليبين أمر الفصاحة

فن أصول حسن التأليف :

ا ـ وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازا :

١ بأن لا يكون فى الكلام تأخير وتقديم يفسد المعنى أو الاعراب ،

٢ ـ وبأن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى .

٣ ـ ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة ، وهنا يشرح الاستعارة ويذكر خصائصها والفرق بينها وبين التشبيه وينقد رأى الرمانى الذى جعل من الفروق بينهما عدم ذكر أداة التشبيه فى الاستعارة وذكرها فى التشبيه ، ثم ذكر أثر الاستعارة فى الفصاحة ، وأقسامها ، وأنها قليلة فى شعر المتقدمين كثيرة فى شعر المحدثين وخاصة أبا تمام .

٤ ـ ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشوا وهنا يتحدث عن الحشو والغرض المقصود منه وما عيب منه وما استحسن ؛ وأدخل فى الحشو الايغال ، وكلام الخفاجى فى الحشو له صلة وثيقة برأى قدامة فيه .

٥ ـ ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون فيها مماظلة وهنا يتحدث عن المماظلة والفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته (مما يسمى تسهيما أو توشيحا) . والخفاجى فى هذا متأثر بقدامة والآمدى جد التأثر .

٦ ـ ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يعبر عن المدح بألفاظ الذم ولا العكس .

٧ ـ ومنه حسن الكناية فى الحال الذى يستدعى عدم التصريح .

٨ ـ وعدم استعمال الالفاظ العلمية والاصطلاحية ، وهو هنا متأثر برأى الجاحظ فى ذلك .

ب ـ ومن شروط الفصاحة المناسبة بين الالفاظ : من طريق الصيغة أو من طريق المعنى :

فأما المناسبة بينها من طريق الصيغة فأثرها فى الفصاحة ظاهر ، ومن هذه المناسبة :

١ ـ السجع والازدواج وهنا يذكر الخفاجى مذاهب العلماء فى قبول السجع

والازدواج وفى كراهتهما ويستحسن السجع المطبوع، وهو هنا متأثر بالجاحظ وبنقد النثر، وينقل هنا كلمة بشر بن المعتمر — التى ذكرها الجاحظ فى البيان — فى قلق الالفاظ فى مكانها، ثم يبين معنى السجع وأقسامه، وينقد الرمانى فيما رآه من ذم السجع وفصاحة الفواصل، ويتكلم عن منهج القرآن فى اسلوبه وأنه لم يكن كله مسجوعا لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه، كما انه لم يخل من السجع لأن السجع من صمات الفصاحة، ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع والذين أقلوا منه والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء. كما ذكر أن جعل الرسالة كلها مسجوعة قبيح

٢ — القوافى فى الشعر ويذكر الخفاجى إنها تجرى مجرى السجع وان المختار منها ما كان متمكنا يدل الكلام عليه، وان الحطيئة وحسان التزما فى بعض قصائدهما ما لا يلتزم فى القافية، وكذلك كثير وابن الرومى والمعرى ويتكلم على شروط حسن القافية ويلم بكثير من عيوبها

٣ — التصريع ويفيض فى الكلام فيه

٤ — الترصيع وهو ان تكون الجمل التى يشتمل عليها البيت أو الفصل المنثور مسجوعة، ويستحسن الخفاجى من ذلك ما قل دون ما كثر. وهو فى ذلك يحتذ حذو قدامة فى نقد الشعر وان كان يخالفه فيه فان قدامة يستحسن الكثير منه والخفاجى يستحسن القليل دون الكثير

٥ — اللف والنشر المرتب

٦ — عدم كثرة الزحاف فى الشعر، وتساوى الفصول او ان يكون الفصل الثانى اطول من الأول دون العكس فى النثر

٧ — التجانس وهنا يفيض الخفاجى فى الكلام عليه وفى تحديد معناه وذكر اقسامه وفى استحسان القليل الغير المتكلف منه، والخفاجى متأثر فيما كتبه عن الجناس بقدامة والآمدى

وأما المناسبة بين الالفاظ من طريق المعنى فعلى وجهين :

١ ـ تقارب معنى اللفظين

٢ ـ تضاد معنيهما أو تقارب المعنى من التضاد. وهذا هو المطابقة عند العلماء ويسميها قدامة تكافؤا وأنكر عليه ذلك الآمدي والأخفش ، وأبان الخفاجي ان علماء الشعر يسمون ما كان قريبا من التضاد « المخالف » ، ثم يذكر الخفاجي اقسام الطباق واسم كل قسم عند العلماء. ويختار تسمية الجميع بالمطابق ، ثم يذكر حقيقة الطباق وما يستحسن منه ومثلا لجيده ورديئه ؛ ويجعل التقديم والتأخير فى الاسلوب مما يجرى مجرى الطباق

حـ ـ ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الايجاز؛ وهنا يذكر مقام الايجاز ومقام الاطناب ، متأثرا فى ذلك بنقد النثر ، ومناقشا لمن يجعل الاطناب بلاغة، ويشترط فى الايجاز وضوح المعنى وعدم خفائه والا كان قبيحا مذموما، ويتبع هذا بالكلام على المساواة والتذييل والاشارة والمقام الذى يستوجب كل واحد منها ، ويؤثر منها الايجاز ويذكر رأى علماء الأدب فيه ، ويوضح أقسامه ، ويناقش تعريف الرمانى للايجاز ، ويشرح معنى الاطناب والتطويل والمساواة والتذييل والحشو الى آخر هذه البحوث القيمة

د ـ ومن شروط الفصاحة والبلاغة الوضوح فى الأسلوب شعرا أو نثرا، وهنا ينقد رأى الصابى الذى ذهب الى استحسان الوضوح فى النثر دون الشعر، ويشرح الخفاجى أسباب غموض الكلام ، ويؤكد أن سر الاعجاز هو صرف الله تعالى الناس عن معارضته، ويمثل للكلام الواضح والمغلق، ويذكر وصية بشر ابن المعتمر التى ذكرها الجاحظ من قبل والتى توصى بعدم التوعر، كما يذكر كلمة للجاحظ فى ذلك

هـ ـ ومن اوصاف الفصاحة والبلاغة الكناية التى تكلم عليها الخفاجى متأثرا فى ذلك بقدامة فى نقد الشعر

و ـ ومنها التمثيل

ح ـ وأما أسباب الفصاحة فى المعانى التى تستعمل فى صناعة تأليف الكلام فهى:

١ صحة التقسيم .

٢ ـ تجنب الاستحالة والتناقض .

٣ — الايضع الجائز موضع الممتنع .

٤ — صحة التشبيه .

٥ — صحة الأوصاف فى الأغراض .

٦ — صحة المقابلة فى المعانى .

٧ — صحة النسق والنظم وحسن التخلص .

٨ — صحة التفسير .

٩ — وأما المبالغة والغلو فى المعنى فنقاد الادب مختلفون فيهما : مدحا وذما .. والخفاجى يستحسن الغلو مع استعمال ما يقربه إلى الصحة .

١٠ — الاستدلال بالتمثيل .

١١ — الاستدلال بالتعليل .

والخفاجى فى هذا الباب كله متأثر بخطى قدامة فى نقد الشعر إلى حد بعيد .

وبعد ذلك كله يذكر الخفاجى الآراء الفاسدة فى نقد الشعر وفى نقد الكلام :

١ — فيخطىء من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين، ويناقش هذا الرأى فى تفصيل وقوة

٢ — ويبين أن مذهب النقاد والمنهج فى نقد الشعر هو ما قدمه من نعوت الألفاظ والمعانى، دون التفات إلى تقدم الزمن أو تأخره فذلك لا تأثير له ، وهذا مذهب الجاحظ والمبرد والمعرى .

٣ — ويبين أن المعنى الفاحش (من المجون ووصف الخمر وسواهما) لا يعيب الشعر — كما ذهب إليه بعض النقاد — ما دام تأليفه جميلا .

٤ — ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد فى النقد ، من اختيار ما يوافق ذوق طبع الناقد وحده ، ومن إيثار الوحشى دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسان الشعر لأجل قائله .

وأخيرا يتكلم الخفاجى على النثر والشعر ومكانة كل منهما .

ويذكر ما يحتاج إليه البليغ من العلوم اللغوية والأدبية وسواها .

وكل هذه البحوث يذكرها الخفاجى فى إفاضة وجمال شرح وقوة حجة وعفة مناقشة وطهارة نقد وسداد غرض وصواب غاية وأعدل منهج .

وأخيرا وبعد ذلك كله ينتهي الكتاب .

- ٣ -

فهذا الكتاب إذا بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافهما فى اللفظ وفى النظم وفى المعنى .

وهو فى ذلك كله وبما فيه من كثير من الآراء الحافلة فى الأدب والنقد والبيان ذو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية ، وقد نوه ابن الأثير م ٦٣٧ هـ فى أول مثله السائر بالكتاب وبمؤلفه وأشاد به أعظم إشادة وتأثر به فى بحوث كتابه المثل السائر ، ونقد بعض آرائه فى بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة فى العصور الأخيرة وخاصة الإيضاح للخطيب م ٧٣٩ هـ قد تأثرت بسر الفصاحة وآرائه إلى حد بعيد ، فهو المصدر الأول للبلاغيين كما هو أهم مصدر من مصادر الأدب والنقد .

- ٤ -

ومع ذلك كله فيمكننا أن نقول إن مصادر ابن سنان الأولى التى اعتمد عليها فى تاليف كتابه الحافل هى :

١ - البيان والتبيين للجاحظ م ٢٥٥ حيث احتذى حذوه فى كثير من الآراء البيانية والأدبية التى تضمنها الكتاب .

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة م ٢٧٦ حيث اعتمد على مقدمته اعتمادا كبيرا .

٣ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر م ٣٣٧ وقد وضعه الخفاجى موضع العناية حين الف كتابه وسار على نهجه فى التاليف واحتذى حذو مؤلفه فى كثير من الآراء .

٤ - نقد النثر حيث اعتمد عليه فى بعض فصول الكتاب وخاصة حينما كتب على مقامات الايجاز والاطناب

٥ - الموازنة للآمدى م ٣٧١ فقد اعتمد عليها الخفاجى اعتمادا كبيرا وحفل

بآرائها وتقد الكثير منها ناهجا فى ذلك منهج المرتضى فى نقده للآمدى فى كتابه « الشيب والشباب »

٦ — الوساطة للجرجانى م ٣٩٢ فقد ركن اليهـا فى بعض الآراء ونقل عنها الكثير من مباحث الاستعارة ونقدها

٧ — كتاب الرمانى م ٣٨٤ فى البلاغة فقد أخذ منه الخفاجى بعض آرائه ونقد ما هو فى حاجة الى النقد

٨ — اعجاز القرآن للباقلانى م ٤٠٦ فهو كذلك يظهر أثره فى سر الفصاحة وخاصة فى مباحث السجع والفواصل فى القرآن

ومع ذلك كله فشخصية الخفاجى قوية جدا فى كتابه بنقده لما يستحق النقد من هذه الآراء وبحسن عرضه وجمـال تنسيقه وقوة حجته وحسن ذوقه فى النقد والتحليل

— ٥ —

وابن سنان كما يبدو من كتابه رجل ذو ثقافة واسعة درس كتب الادب والنقد واللغة، وكانت من خصائص ومميزات ثقافته هذه الناحية الكلامية التى مهر فيها، وأسلوبه فى الجدل أسلوب قوى من اساليب المتكلمين، وهو ينتصر لهم حتى يرى كلامهم دون ما سواه هو الحجة الدامغة

وهو فوق ذلك كله منصف فى حكمه معتدل فى نقده يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير ويرتب كل شيء على أساس حكم العقل واستنتاجه

— ٦ —

ومع ذلك كله فاننا نأخذ على ابن سنان الخفاجى بعض المآخذ :

١ — فقد عاب قول ابى تمام :

يضحكن من أسف الشباب المدبر ... وزعم أن المدبر مثل الادبار

وهذا لا أراه الا نتيجة التفكير البعيد الذى امتاز به ابن سنان والذى لا يصل إليه تفكير الجمهور ولا يقبله ذوقهم

٢ ـ ونقده ابن الأثير فى عيبه للكلمات الطويلة مثل المستنشدين

٣ ـ كما نقده فى جعل الاستعارة المبنية على غيرها قبيحة . واقول ان ذلك مذهب ارسطو فى « الخطابة » احتذى حذوه قدامه فى كتابه نقد الشعر ، ثم احتذى حذوهما الخفاجى فى هذا الكتاب ، وقد شرحت ذلك شرحا وافيا فى كلمة نشرتها عن الموازنة

— ٧ —

وبعد فقد عاصر الخفاجى ٤٦٦ شيخ البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجانى م ٤٧١ هـ كما عاصر ابن رشيق صاحب العمدة المتوفى سنة ٤٥٦

ويغلب على ظنى أن بعد مواطن هذه الشخصيات الفذة عن بعض كان سببا فى عدم تأثر كل شخصية منها بالأخرى فى تفكيرها فى النقد واحكام البلاغة

فعبد القاهر عاش فى جرجان والخفاجى فى حلب وابن رشيق فى القيروان ، وألف الأول اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من حيث الف الثانى كتابه سر الفصاحة ، ومن حيث ألف الثالث العمدة فى صناعة الشعر ونقده

فأما الصلة الباقية بين ابن رشيق وابن سنان فمصدرها اعتماد الرجلين فى تأليفهما على مصدر واحد له أهميته وهو نقد الشعر، فكان كتاب العمدة وكان كتاب سر الفصاحة تجديدا يسير حول منهج قدامة فى النقد وفى التأليف .

وللان لا تتجلى صلة واضحة بين الخفاجى والجرجانى ولا يظهر أى أثر للشبه أو التأثر بين الرجلين اللهم الا فى مواضع قليلة :

فقد ذكر ابن سنان ـ كما ذكر عبد القاهر ـ شبهة الذين زعموا أن الحكاية هى المحكى ، ودليلهم عليها أن الحكاية لو كانت غير المحكى بل مثله لكان من قرأ القرآن آتيا بمثله على الحقيقة، وأجاب الخفاجى عن هذه الشبهة كما أجاب عبد القاهر فى دلائله بأن التحدى انما وقع بفعل مثل القرآن على الابتداء دون الاحتذاء والتالى للقرآن قد أتى بمثله محتذيا فلا يكون بذلك معارضا وعلى هذا أيضا كان يقع التحدى بين العرب بالشعر على سبيل الابتداء [سر الفصاحة والدلائل ص ٢٧٠] .

ورأى أن ذلك مصدره هو التشابه بين الثقافة العامة فى عصر الرجلين لا غير وعلى ذلك فلم يتأثر الخفاجى بالجرجانى ولم يتأثر الجرجانى بالخفاجى، ولو أن الرجلين اطلع أحدهما على مجهود الآخر فى دراسة البلاغة لكان لذلك أثره الخطير فى تحويل مناهج البحث البلاغى.

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى أن مؤلف الخفاجى أعمق تفكيرا وأشمل فكرة وأوسع مدى وأبلغ بيانا من كتابى الجرجانى: الأسرار والدلائل.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ابن الأثير فى كتابه «المثل السائر» أشاد بسر الفصاحة وأيد الكثير من آرائه ونقد بعضها.

— ٨ —

ابن الأثير وسر الفصاحة:

ا — أشـــاد ابن الأثير فى مطلعه كتابه بكتاب سر الفصاحة ونوه بمنزلته فى علم البلاغة،

ب — وتعقب آراءه بكثير من النقد:

١ — فهو فى أول الكتاب يأخذ عليه إكثاره فى ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها.

٢ — وذكر فى [ص ٩٢ — ٩٥] ما ذكره ابن سنان من بعد مخارج الحروف وأثره فى فصاحة الكلمة وينقد رأيه فى جعل ذلك شرطا فى اختيـــار الألفاظ وينقد رأيه أيضــا فيما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربى، وفى تصغير اللفظة فيما يعبر عن شىء لطيف أو خفى أو ما جرى مجراه.

٣ — وقد أيد رأيه فى نقد بيت الشريف الرضى:

أعز على بان أراك وقد خلا   عن جانبيك مقاعد العواد

[ص ١١٠ المثل السائر].

٤ — وينقد رأيه فى جعله من أوصاف فصاحة الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيبا [١١١ المثل السائر]،

٥ — ويأخذ صاحب المثل السائر على ابن سنان وسواه أنهم لم يفرقوا بين الاستعارة والتشبيه المضمر الأداة، ويجعل ابن الأثير بيت إمرىء القيس «فقلت

له لما تمطى بصلبه ، من التشبيه المضمر الأداة لا من الاستعارة كما يذهب إليه ابن سنان ، ويأخذ عليه جعله البيت من الاستعارة الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة . [ص ٢٣٠ المثل السائر)

٦ ـ ويأخذ على ابن سنان وسواه عدم فرقهم بين الكناية والتعريض .

٧ ـ وينقد رأى ابن سنان فى ترك ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم (ص ٤٦٣ المثل السائر) .

وأخيرا فهذا هو خاتمة ذلك البحث الجديد عن كتاب ،، سر الفصاحة ،، وأثره ومنزلته فى البلاغة

صور لابن سنان من شعره

قال ابن سنان :

هل تسمعون شكاية من عاتب ... أو تقبلون إنابة من تائب
ام كل ما يتلو الصديق عليكم ... فى جانب وقلوبكم فى جانب
أما الوشاة فقد أصابوا عندكم ... سوقا تنفق كل قول كاذب
فمللتم من صابر ، ورقدتم ... عن ساهر وزهدتم فى راغب

وقال على مذهب لزوم ما لا يلزم .

مضى الصبا وأناس فى الصبا عرفوا ... أستودع الله أطرابى وأترابى
ولو عقلت لما عنيت بعدهم ... نفسى وأتعبت آرابى بآرابى
وكنت فى جانب الغبراء معتزلا ... عزى قنوعى وحصنى ظل محرابى
لا أطلب الرزق من سيف ومن قلم ... ولا أفكر فى روم وأعراب
اقول حقا ولكنى أخالفه ... ولو عقلت لكان الصمت أحرى بى

وقال :

من مبلغ اللوام أن مطامعى ... صارت حديثا بينهم وقصائدا
ركضت على اعراضهم وهى التى ... تطوى البلاد شواردا ورواكدا

مالى أجاذب كل وقت معرضا ... منهم وأصلح كل يوم فاسدا
وأقيم سوق المجـــد فى ناديهم ... حتى أنفق فيه فضـلا كاسدا
أرأيت أضيع من كريم راغب ... يدعو لخلتـــه لئيما زاهـــدا
ومعرس بركابه فى منزل ... يلقى الصديق به عدوا حاسدا
عكس الأنام فان سممت بناقص ... فاعلم بأن لديه حظا زائدا
وتفاوت الارزاق ار جب فيهم ... ان يجعلوه مصالحا ومفاسدا
ومعدد فى الفخر طارف ماله ... حتى تلوت عليه مجدا تالدا
طوقته بأوابدى ولطــــالما ... اهديت أغلالا بها وقلائدا
مهلا فانك ما تعد « مباركا » ... خالا ولا تحصى« سنانا » والدا
بيت له النسب الجلى ، وغيره ... دعوى تريد أدلة وشواهدا

وقال

أستغفر الله لا فخر ولا شرف ... ولا وفاء ولا دين ولا أنف
كأنما نحن فى ظلماء داجية ... فليس ترفع عن أبصارنا السجف
تزيد بالبحث جهلا ان طلبت هدى ... وهل يضىء لعين المدلج السدف
وفى الفلاسفة الماضين معتبر ... فطالما قصدوا فيها وما عسفوا
وقد أتوك بمين من حديثهم ... يكاد يضحك منه الحبر والصحف
ظن بعيد وأقوال ملفقة ... تخفى على الغمر أحيانا وتنكشف
الأمر أكبر من فكر يحيط به ... والعمر أقصر أن يلقى له طرف
فاعظم بدائك ان حاولت واضحة ... ومت به فعلى هذا مضى السلف
جاءت أحاديث عن قوم أظنهم ... عاشوا طويلا وقالوا بعد ما خرفوا
يدين قوم بأن الشهب خالدة ... وعند قوم لها وقت ومنصرف
وما رضيت بعقلى فى جدالهم ... ولا توهمت إلا غير ما وصفوا
ورب قوم أضاعونى وقد فهموا ... قدرى فما أكرموا فضلى ولا اعترفوا

وقال على طريق الشعر المعروف باستغفر واستغفرى :

استغفر الله القديم وعـــذبه ... من شرها وفى الحطام منافس

وافعل جميلا لا يضع لك صنعه ... واسمح بقوتك للضعيف البائس
واقنع ففى عيش القناعة نعمة ... لا تتقى كف الزمان الخالس
لا تركنن إلى المراء فانه ... سبب لكل تنافر وتشامس
عاذت بنو حواء من إبليس فى الدنيا م ... وكم فيهم فنون أبالس
درسوا العلوم ليملأوا بجدالهم ... فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة ... فى أخذ مال مساجد وكنائس (١)
إيو ان كسرى صار مرتع ثلة ... وديارة باتت مناخ عرائس
والحيرة البيضاء بدل أنسها ... قدر أطاعته مدائن فارس
ياعقل مالك فى اللطائف منهج ... فاذا عثرت فلالعا للتاعس
عندى لقد ذهب الذين تمكروا ... فيها وما ظفروا بغير وساوس
ما قول بطليموس عنها حجة ... عندى ولا المروى من رسطالس
جار الأنام فلا دلالة ناظر ... تشفى العقول ولا إمارة قابس
لاتحفلن بما حوته صحائف ... لهم وإن وجدت بخط دارس
عجبا لهام ينازع خصمه ... فى آل يربوع وأسرة حابس
هيهات ما شرف الأصول بنافع ... حتى يكون ذوائب كمغارس
لا تفخرن وإن فضلت فبالتقى ... ناضل وفى بذل المكارم نافس

---

(١) وينسب هذا البيت والذى قبله لابن خفاجة الأندلسى (راجع ديوان ابن خفاجه شاعر الأندلس م ٥٣٣ طبعة سنة ١٢٦٦ بمصر ص ٧٨)

ترجمة فوات الوفيات لابن سنان

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي الشاعر الأديب ، كان يرى رأي الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب ، وكان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس ان يكتب إلى الخفاجي كتابا يستعطفه ويؤنسه ، وقال لا يأمن إلا إليك ، ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا ، فلما فرغ منه وكتب إن شاء الله تعالى شدد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصدا حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب ، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأس فرسه ، وفكر في نفسه؛ وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، فلاح له انه أراد ، إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فعاد إلى عزاز ، وكتب الجواب : أنا الخادم المعترف بانعام ، وكسر الألف من أنا وشدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر وعلم أنه قصد به ، إنا لن تدخلها أبدا ما داموا فيها ، وكتب الجواب يستصوب رأيه ، فكتب إليه الخفاجي

خف من أمنت ولا تركن إلى أحد   فما نصحتك إلا بعد تجريب
إن كانت الترك فيهم غير وافية   فما تزيد على غدر الأعاريب
تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم   وكاد أن يدرسوها في المحاريب

واستدعى محمود أبا نصر بن النحاس ، وقال : أنت أشرت على بتولية الخفاجي ، وما أدرفه إلا منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له :

مرني بأمر أمتثله ، قال : تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارسا ، فاذا قاربته عرفه بحضورك ، فانه يلتقيك ، فاذا حضر سالك النزول عنده والأكل معه ،

فامتنع ؟ وقل له : إنى حلفتك أن لا تاكل زاده ، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك فى الحضور عندى ؛ وطاوله فى الحديث ، وأخرج هذه الخشكانجتين فكل أنت هذه ، وأطعمه هذه ، فاذا استوفى أكلها عجل الحضور إلى ، فان منيته فيها ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجى رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجى إلى عزاز ، ولما استقر بها وجد مغصا شديدا ، ورعدة شديدة ، فقال : قتلنى والله أخى أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه ورده ، ففاتهم ؛ ووصل إلى حلب وصبح من الغد محمود ، فجاءه من عزاز[1] من أخبره أن الخفاجى فى الرمق الأخير ومات.

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ ، وحمل إلى حلب [2] .

ويلى ذلك عدة مختارات صغيرة من شعره

(٢٩٧ — ٣٠٠ / ١ فوات الوفيات لابن شاكر ط ١٢٨٣ هـ) .

وما توفيقنا الا بالله ، منه نستمد العون والهداية والتوفيق

---

(١) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب ، بينهما يوم ، وهى طيبة الهواء عذبة الماء ، صحيحة لا يوجد فيها عقرب وليس بها شىء من الهوام (١٦٧ / ١ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦) .

(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ ما نصه : وفيها حدث يعرف بابى محمد بن سنان قد ناهز العشرين وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ، فن قوله :

إذا هجوتكم لم أخش صولتكم — وإذ مدحت فكيف الرى باللهب
فحين لم ألق لا خوفا ولا طمعا — رغبت فى الهجو اشفاقا من الكذب

(٣١٣ جـ ٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ م) .

خلاصات

لبحث عن ابن سنان وكتابه سر الفصاحة

وهذه خلاصة لبحث ، كتبه الأستاذ محمد كامل حسنين الفقي، المدرس بكلية اللغة العربية، ونشره في مجلة الأزهر منذ ثماني سنوات عن ابن سنان وكتابه ، ونحن ننشر هنا خلاصة وافية له خدمة للباحثين والدارسين ؛ وإن كانت بعض آرائه تخالف ما ذهبنا إليه في دراستنا السابقة . وهذا هو البحث :

ترجمة الخفاجي :

ترجم له صاحب فوات الوفيات ترجمة صغيرة .

ولقد رجعت إلى كثير من أمهات الكتب على أجد فيها ما يشفي الغلة من ترجمة الخفاجي فلم أحل بطائل ، اللهم إلا ما أورده العلامة « جورجي زيدان » من سطور هي نص ما ذكره « فوات الوفيات » مقتضبا السبب الذي أعجل منيته . بيد أنه زاد عليه ما يأتي : « وللخفاجي ديوان منه نسخة في المكتبة الخديوية وطبع في بيروت سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف ، وسر الفصاحة منه نسخة في برلين »

سر الفصاحة :

كان ابن سنان قوي الحجة في منطقه ، يأتي بالدليل على ما رآه فيكون معجزا لا يرى الخصم مجالا لنقضه أو النفاذ إليه .

على أنه لم يكن الخفاجي في « سر الفصاحة » جافا يذكر القواعد والأصول مجردة ، وإنما كان مجاريا من سبقه من مؤلفي ذلك العصر الذين لم يعكفوا على الأسلوب العلمي المحض ، بل دعموه بالتمثيل الأدبي الرائع ، وإنك لتلمح هذه الظاهرة في كتابه فتراه يحملك على الاعجاب به والتصديق لما ذهب إليه ، بارعا في تصويره ، محكما في قياسه .

وقد راعني من المؤلف دقة أسلوبه وبراعة تصويره وسهولة عبارته التي لا تكلف فيها ولا معاظلة ، والتي لم يشبها شيء من جناس أو بديع . كان متمكنا

من الألفاظ والمعانى كأبدع ما تجـــده من كاتب محكم الكتابة . على أنه يعلمك صنوفا من التعبير ويهدى إليك أفانين من الأسلوب ، فاذا علق على رأى أو مذهب كان غاية فى الاشراق وسلاسة البيان والبعد من التكرار ، وكان متبعا طريقة المتقدمين السابقين من إثارة بحوث وعقد موازنات أدبية بين أبيات وأخرى ، ومفاضلات بين مأثور من القول وآخر ، ثم إظهار ما فيه من الحسن بلباقة وفطنة

وقد شاع فى كتابه ذكر الروايات الأدبية والأحداث والمجالس بما يثقف الأديب ويقف المتأدب المتصفح على أخبار وملح ونوادر وطرف ، فيجمع إلى درايته بسر الفصاحة فائدة أدبية جمة وتوافيه معلومات ناضجة الثمار شهية الأكل ، لم يكدها ذهنا ولم يجهد فيها خاطرا ، وإنما واتته سائغة واضحة السبيل معبدة الطريق ، فدل بذلك على غزارة مادة وسعة اطلاع .

وأما ذوقه الفنى فيشهد له كل فصل عقده فى كتابه .

ولكن لا بدع أن نذكر للخفاجى هذه النواحى من الجمال فى أدبه وأسلوبه ؛ فالخفاجى أديب مطبوع ، وشاعر غلب عليه الاشتهار بشعره ؛ فبالأدب والشعر عرف ، وبالفراهة فيهما وسم ووصف ، وربما لا نجـــد أحدا من المؤرخين أو المحققين معنونا له إلا بالخفاجى الشاعر . وهذه هى رواية الخطيب التبريزى عنه فى معجم الأدباء حيث يقول : قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن ســنان الخفاجى الشاعر . ويذكره صاحب فوات الوفيات بين الأدباء والشعراء ويلقبه بالأديب الشاعر .

وكان الخفاجى إذا عرج على بحث شققه وفصله وبحث كل نوع فيه ، وفلسف فروعه وفصوله .

وتلمح فى الخفاجى دقة الملاحظة وقوة الفطنة وتمام اليقظه فيما يمر به . ولسنا مبالغين إذا قلنا إن تلك الدقة فى الملاحظة من أروع وأسمى مايشرف به المؤلفون ومن ألزم ما يحرص عليه العلماء والمحققون .

وكان الخفاجى عفا نزيها ، فلم يهج قائلا أو يعنف ذا رأى ، ولم يكن على طول

باعه ورصانة أسلوبه ورجاحة فكره بالتحدث عن نفسه أو المعلن عن بضاعته. وإذا صح ما يقولون: وبضدها تتميز الأشياء، فان ذلك ليظهر فيه ويبدو غاية فى الجلاء إذا قرئت عليك صفحة من حديث «أبى هلال العسكرى» عن نفسه، ودعواه الهائلة التى يطنطن بها لكل ما يقوله أو يتجه إليه: كان الخفاجى أديبا وشاعرا، وكان فى مكنته أن يقول: وذلك مما نفخر به أو مما أبد عناه على غير مثال يحتذى، أو أن ذلك من تجديدنا وابتكارنا، وكان فى وسعه أن يذكر شيئا غير يسير من شعره كشواهد فى القواعد والأصول التى يقررها، ولكن شيئا من ذلك لم يكن.

وحاشا الخفاجى أن يتدلى الى هذا بشىء. وهذه النزعة الفخرية التى غرق فيها أبو هلال حتى جفونه هى التى برىء منها ابن سنان ولم يصبه منها شىء.

ولقد أذكر الآن جملة جاءت فى كتاب ابن سنان تدل أنطق دلالة على تواضعه وبعده من الزهو والغرور حيث يقول: ولهـذا لست أدعى السلامة من الخلل ولا العصمة من الزلل، وأعترف بالتقصير، وأسأل من ينظر فى كتابى هـذا بسط عذرى والصفح عما لعله يثيره على.

هذا ولم يعرج ابن سنان على رأى سبق به إلا نسبه لصاحبه، ولم أره — وقد تتبعت ما كتبه فى سر الفصاحة — منتحلا مذهبا أو مدعيا رأيا وهو لغيره، بل تراه فى غير موضع يقول: عن (الحسن الرمانى)، عن (قدامة)، عن شيخنا (المعرى)، عن فلان. وهكذا. وقد لا تجد هذا المظهر متجليا لأحد تجليه فيه.

من تأثر به من المتقدمين:

يظهر المتأمل فى سر الفصاحة أن صاحبه أخذ عن كثير من العلماء ونقل غير قليل من آراء المحققين ولكنه كان ينسبها اليهم ويناقشها فيحكم عليها بالرفض أو القبول.

ومن هؤلاء الذين نقل عنهم وتأثر بهم «أبو الحسن على بن عيسى الرمانى» فكثيرا ما يذكر له رأيا أو مذهبا. ونجد ذلك شائعا فى كتابه.

ومن هؤلاء الذين ينقل عنهم وينقد رأيهم: « أبو الحسن بن بشر الآمدى » .
ومن هؤلاء الذين يذكر رأيهم ويتبعه بنقده ومناقشته كنقده ومناقشته للرأى السابق: « أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ » .
ومن هؤلاء أيضا: « القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى » صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه .
وممن تأثر بهم وتقصى كثيرا من رأيهم ومذهبهم: « قدامة بن جعفر » .
ومن هؤلاء أيضا: « أبو العباس محمد بن يزيد المبرد »
وكان الخفاجي ينقل الرأى لينقده ويوليه ما يستحقه من رفض أو قبول ، فليس متبعا رأيهم لمجرد التأييد ، ولا ناقلا مذهبهم لمحض التصديق ، ولكنه يزنه بميزان عقله وفكره ، فمن رجحت كفة رأيه أيده ، ومن شالت كفته خالفه وفنده ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى كتابه . وكذلك شواهد تأثره بهؤلاء كثيرة فيه .

لقد كان ابن سنان متأثرا بهؤلاء متقصيا غير قليل من مذاهبهم وتحقيقهم ولكنه كما قدمنا ما كان يعتمد على مجرد النقل ، وإنما ينقل الرأى ليعمل الفكر ويكون حكمه على ضوء البحث ونتيجة الاقتناع . وقد فشا ذكره لآراء طائفة أخرى من المحققين ينقلها وينقدها ، وذلك كأبى بكر الحسن بن دريد ، والأخفش ، وسيبويه ، وأبى عمرو ابن العلاء ، وابراهيم بن سيار النظام ، وأبى الفتح عثمان بن جنى وغيرهم .

كان الخفاجي متأثرا بهؤلاء الذين قدمنا الحديث عنهم ، ولكننا لا نحسبه لهم تلميذا ، ولا نزعمهم له اساتذة وشيوخا ، وإنما هو شخص واحد الذى كان الخفاجى منه بمنزلة التلميذ ، وكان من الخفاجى بمنزلة الأستاذ ، وذلك هو أبو العلاء احمد بن سليمان المعرى ، وما نذهب فى ذلك عن نقل أو نص لعالم قرأناه ، فالخفاجى مع شديد الأسف مغمور فى الباحثين المؤرخين ، مظلوم من الكاتبين بعده ، ولذلك لا نجد إلا قليلا من كتب عنه ، وقليلا مما سجل فى تاريخه .

ولعل مما يؤيد أن أبا العلاء كان شيخه ، وأنه كان يقرأ عليه ، أن هذا الكتاب على كثرة ما حوى من القول المنسوبة إلى أصحابها لا تجد فيها كلمة من الخفاجى

ينص بها على أنه قرأ على فلان إلا المعرى ، ولا تراه يطلق كلمة الشيخ إلا على أبي العلاء .

وفى كتاب الخفاجى تصريح بأن أبا العلاء كان شيخا له ، وأنه كان يقرأ عليه فيمن يقرءون من التلاميذ . وربما كان الخفاجى يرسل كلمة (الشيخ) مطلقة غير مقيدة ويريد منها (أبا العلاء)، ظنا منه أنها حين تطلق لا تنصرف إلا إليه، وحيث ترسل لا يكون المراد بها سواه .

∴

تأثر « ضياء الدين أبو الفتح ابن الأثير » بالخفاجى تأثرا ينطق به غير موضع من كتابه ويهدى اليه أكثر من بحث فى (مثله السائر) . ولقد كان ابن الأثير معجبا بابن سنان ، طروبا لما أبدع فى مؤلفه « سر الفصاحة » ، ويراه كما يرى (الآمدى) بيضة الديك فى هذا الفن ، وذروة التأليف وقمته بالنسبة لغيرهما ، واصغ اليه حيث يقول فى مقدمة المثل السائر : « فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك إلا كتاب الموازنة للامدى وسر الفصاحة للخفاجى » . وإذا كان ابن الأثير قد رأى أن من خير الكتب سر الفصاحة فلا عجب أن يجول فى مباحثه وأن يتأثر بروحه وأن ينم تأليفه عن متابعة له واقتداء به .

∴

وكذلك تأثر به الامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩ والذى طبقت شهرته الخافقين وسجل فى تاريخ البلغاء اسمه ، وله تلخيص القسم الثالث من المفتاح وشرحه الذى سماه الايضاح ، وهذا الأخير قد جمع فيه مؤلفه خلاصة المفتاح ودلائل الاعجاز وأسرار البلاغة وغيرها من الكتب ذوات الخطر فى هذا الشأن ، وكان أغلب اعتماده على كتابى عبد القاهر وسر الفصاحة لابن سنان . ويقول الأستاذ أحمد المراغى فى مذكرته (آراء وبحوث) : ومن ثم نرى أنه غمط حق عبد القاهر وابن سنان بقوله « ولخصته من القسم الثالث من المفتاح » ، وليس من المبالغة أن يقال إن الخطيب لخص المقدمة من سر الفصاحة فذلك واضح لأول وهلة حينما نلقى نظرة على الكتابين .

∴

ولم يكن ابن الأثير والخطيب وحدهما هما اللذان تأثرا بابن سنان ، فقد نهل من ورده كثير كالسكاكي وابن السبكي . وكان من الواجب علينا أن نعرض لمقارنة بين هؤلاء وبين ابن سنان لنرد إليه ما نقلوه منه وما تفيئوه من ظلاله ، ولكن ذلك يستدعي ردحا من الزمن ويخرج بنا عن غرضنا من التحليل مقرونا بالايجاز وقد يكون لهذه الصورة الناطقة بتأسي العلماء بابن سنان وسيرهم على هداه ماتهدى به إلى جليل قدره وعظيم خطره ، وأنه أسمى من كثير ممن سجل التاريخ لهم فخرا وشهرة .

∴

وبعد فانه لم يكن التأليف فى البلاغة قبل عبد القاهر قد استقل بالأبحاث البلاغية وتخلص مما يشوبه من مواضع أخرى أدبية أو نحوية أو غير ذلك ، فكنت تجد الكتاب يحوى مسائل ليست من صميم العلم فى شىء ، وتجده غير منظم التنظيم الذى استحدث فيما بعد . وكتابنا سر الفصاحة من هذا النوع ، يذكر مسائل من صميم المعانى فيما هو من مباحث البيان ، ويقحم المسائل البديعية فى غيرها مما هى من موضوع البيان والمعانى ، ويضيف إلى ذلك نقولا أدبية ، وبحوثا هى إلى الأدب أقرب منها إلى غيره ، فتراه يتكلم عن المفاضلة بين شعر المتقدمين والمحدثين ، ويوازن بين المنظوم والمنثور ، والكميت والطرماح بن حكيم وعدم احتجاجهم بشعرهما ، ويحدث عن عيبهم على جرير والفرزدق طول مقامهما فى الحضر إلى غير ذلك .

وهذا هو الطابع العام لكتاب سر الفصاحة ، وهو وإن كان متأثرا بطريقة عصره ومذهب السابقين عليه ، إلا أننا حين نقارن بينه وبين عبد القاهر ، وكلاهما معاصر لصاحبه يعيش معه فى بيئة واحدة ، وتظلهما ثقافة واحدة أو متقاربة ، نجد الثانى سبق الأول بأشواط بعيدة فى هذا المضمار ؛ وذلك أن الجرجانى قد استوفى أبحاثا بلاغية فى كتابه مما خلا سر الفصاحة منها كالمجاز المرسل والمجاز العقلى

والفصل والوصل والخبر والانشاء إلى غير ذلك مما لم يحدث ابن سنان عنه ، وظهرت في كتب عبد القاهر ميزات لم يتمتع بها سر الفصاحة ، من تخليص العلم من الأمور الأجنبية عنه ، ومن قربه الى التحديد العلمي والتنسيق المنظم ، والاستيفاء الشامل .

ولكن لعل من الأنصاف أن نلتمس للخفاجي في ذلك عذرا ، فقد كان واليا ، وللولاية من صاحبها شغل ولها عليه حقوق ، وله من شئونها هم وتفكير ، ونحن وإن كنا لم نعرف مدة ولايته إلا أنها على أي حال قد شغلت نفسه كثيرا .

وقد كان الخفاجي شاعرا ، وللشاعر نزعة هي وحي الالهام وسبح الخاطر ، وشأن الشاعر أن يرخي لنفسه العنان كما يرخيها لخياله ، وأن يرسل نفسه مطلقة لا يحدها نطاق ، ولا يأويها مكان . فحين يعمد إلى التأليف في علم لا يواتيه لتحريره إلا ما لفه في شعره من هذه المعاني الطليقة فيكون حرا مراسلا مجانبا القيود نافرا من التقليد ، وذلك ما دلت عليه آيات في كتابه ونطقت به أمارات في مؤلفه .

∴

وبعد فان كتاب سر الفصاحة ثمرة طيبة لابن سنان ، وتحفة فنية رائعة يقضي الوفاء لها ولمبدعها أن تجد من الكاتبين قلما يستوحي من (سر فصاحته) ويستلهم من رائع بلاغته ، وأن نظفر بمن هو أقدر منا على التحليل والتصوير ، وأبرع في التحقيق والتفكير ، ولكنا نلتمس لأنفسنا نحن الآخرين عذرا إذ لم نجد في الكاتبين من شرح نواحي الجمال في سر الفصاحة أو دبج في ابن سنان قولا . فقد عاش الرجل نابها ، ولكن التاريخ ظلمه باهمال التحدث عنه ، وقدم لأرباب البيان أشهى ثمرة ، ولكنهم ضننوا عليه بالتحليل والتأريخ . وكان كل ما ذكرناه في بحثنا هذا منتزعا من الدرس الذي لا جهد لأحد غيرنا فيه ، مشتقا من متابعتنا لكتابه واستنتاج الحكم من سطوره . وبحسبنا ذلك جهدا ، وما على الله عهد أن يعصمنا من الزلل ، ولله الكمال وحده ؟

سر الفصاحة

للإمام الأديب الناقد ابن سنان الخفاجي
[٤٢٢ — ٤٦٦]

نشر وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي و حسن جاد
الاستاذ بكلية اللغة العربية — الاستاذ بكلية اللغة العربية

طبع ونشر

المطبعة الفاروقية الحديثة
شارع محمد بك فريد بالناصرية

بنو خفاجة فى مصر

سبق فى الجزء الأول ذكر هجرة الخفاجيين إلى مصر وتفصيل البحث التاريخى لهذه الهجرة كما تشير إليه المصادر التاريخية

ونحن هنا سنتكلم على أسر الخفاجيين فى مصر ، على أن لانبحث إلا عمن تثبت المصادر التاريخية نسبتهم إلى خفاجة العامرى الجد الأعلى للخفاجيين ، وعمن تؤكد كتب التاريخ أنهم من سلالة هذه القبيلة التاريخية المجيدة وفروعها

وهذا مجهود شاق ، ولكننى بحمد الله لا أسير إلا على هدى التاريخ الصادق والحقائق الثابتة التى لايعتريها الشك

ونحن هنا أولا سنتكلم على الخفاجيين فى شنوان والشهاب الخفاجى العالم المصرى المشهور

الخفاجيون فى شنوان بمصر

وشنوان قرية مصرية صغيرة من قرى سبك بمديرية المنوفية ، وبها فرع كبير من فروع بنى خفاجة

وأول مايلفت الذهن من تاريخ هذه الأسرة هو الشهاب الخفاجى العالم المصرى الكبير الذى ترك آثارا خالدة على مر العصور ، والشهاب فى غنى عن التنويه والإشادة ، فهو علم من أعلام الأدب المصرى ، وشيخ المحققين والباحثين فى عصره . وصاحب الآثار العلمية والأدبية المشهورة ، وقد عاش فى القرن الحادى عشر الهجرى ومات فيه

والخفاجيون فى شنوان تثبت المراجع التاريخية أنهم من بنى خفاجة العامريين القيسيين ؛ ذلك أن كثيرا من المؤرخين أثبتوا انتساب الشهاب الخفاجى إلى بنى خفاجة .

إذ يقول فيه ابن معصوم : فرع تهدل من خفاجة (١) ، ويقول فنديك فيه : الخفاجى يرجع نسبه إلى قبيلة خفاجة (٢)

والشهاب هو أحد أبناء هذه الأسرة ؛ فتكون نسبة الأسرة إلى الخفاجيين العامريين أمرا لا يقبل الشك .

محمد بن عمر الخفاجى

المتوفى عام ١٠١٩ هـ

هو والد الشهاب الخفاجى ، وهو محمد بن عمر الخفاجى المصرى الشافعى أحد علماء عصره ، وأعلام دهره .

وكان من الفضلاء والأدباء البارعين ، المتعمقين المحققين المتقنين ، وأخذ عن كبار الشيوخ ، وتصدر للافادة ، فانتفع به جماعة من كبار العلماء ، من جلتهم ابنه الشاعر العلامة الشهاب الخفاجى صاحب طراز المجالس وسواه من المؤلفات القيمة .

وتوفى الخفاجى عام ١٠١٩ هـ بعد حياة حافلة ، وخدمات جليلة أسداها للعلم والدين والأدب واللغة (٣)

---

(١) ٤٢٠ سلافة العصر

(٢) ١ - ٣ اكتفاء المطبوع

(٣) ٤١١ جـ ٧ دائرة المعارف للبستانى ، وورد فى هذا المرجع أن وفاته عام ١٠١١ هـ وهو غير صحيح إذ قد ذكر الشهاب فى الريحانة فى ترجمته لخاله أبى بكر الشنوانى أنه توفى هو ووالده فى وقت واحد [١١٦ الريحانة] ؛ وقد توفى خاله سنة ١٠١٩ هـ

الشهاب الخفاجي المصري

٩٧٥ — ١٠٦٩ هـ

أما الشهاب الخفاجي[1] :

فمجال الحديث عنه واسع ، والمراجع التاريخيـــة والأدبية عنه وعن حياته وشعره كثيرة

وسأتناول جوانب هذه الشخصية الكبيرة في إيجاز :

يقول ابن معصوم في « السلافة » عنه :

أحد الشهب السيارة ، والمقتحم من بحر الفضل لجه وتياره ، فرع تهدل من خفاجة[2] ، وفرد سلك سبيل البيان ومهد لجاجه[3] ، إلى آخر ما يقول :

ويقول فنديك في كتابه « اكتفاء المطبوع » :

---

(١) ترجم لنفسه في الريحانة [٢٧٢ — ٩ ٣] . وترجم له المحبي في الجزء الأول من تاريخ خلاصة الأثر [٣٣١ — ٣٤٣] . كما ترجم له ابن معصوم في سلافة العصر [٤٢٠ — ٤٢٧] ، وأشار إلى كتابه الريحانه في ص ٨ وأثنى عليه . وله ترجمة في مصباح العصر في تواريخ شعراء مصر طبع بيروت ١٢٨٨ . وترجم له جورجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ص ٢٨٧ ج ٣

وترجم له الأستاذ محمود مصطفى في الجزء الثالث من تاريخ الأدب العربي . وفي الجزء الثاني من المفصل ترجمة له [٣٠٨ — ٣١١] . وترجم له فنديك في اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ص ٣٥١ . وترجم له البستاني في دائرة المعارف ٥٨٧ و ٥٨٨ ج ١٠ — كما ترجم له كثير من علماء الأدب في شتى المؤلفات . وله ترجمة في عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر للشلي (ص ١٧٧ من التراجم الملتقطة منه الملحقة بآخر طبقات الشافعية للاسدي رقم ٢٤٠ تاريخ — تيمورية)

(٢) هي قبيلته العربية التي ينتمي الشهاب إليها

(٣) ٤٢٠ السلافة

الخفاجى يرجع نسبة إلى قبيلة « خفاجة » ، وسكن أبوه فى قطعة أرض بقرب سرياقوس شمالى القاهرة[1]

وإذا فالشهاب يرجع فى نسبته إلى بنى خفاجة على وجه التحقيق كما رأينا فى هذه المصادر وكما ورد فى سوى هذه المصادر

وإذا كان المحبى فى خلاصة الأثر لم يحقق هذه النسبة واكتفى بقوله : خفاجة هى من بنى عامر فلعل أصل والده منهم[2] ، فذلك لأنه لم يكن من علماء الأنساب وكانت حياته بعيدة عن الحجاز ونجد وصميم القبائل العربية ، ولم يكن من العرب الخلص ، وغير العرب الخلص لا يهتمون بالأنساب ومعرفتها اهتماما كبيرا

والشهاب هو شهاب الدين محمود بن محمد بن عمر الخفاجى

ترجم لنفسه فى الريحانة فقال ما ننقله عنها فى إيجاز « كنت بعد سن التمييز ، فى مغرس طيب النبت عزيز ، فى حجر والدى . ومقام والدى غنى عن المدح ، فلما درجت من عشى قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية[3] ، ونافست

---

(١) ٣٥١ اكتفاء القنوع

(٢) راجع خلاصة الأثر ٣٤٢ ج ١ ، ومقدمة الجزء الأول من حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ص ٧ حيث صدر بذكر ترجمة المحبى للشهاب فى كتابه خلاصة الأثر

(٣) خاله هذا هو أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين ، والده شهاب الدين الشنوانى القطب الربانى ، وجده الأعلى ابن عم سيدى على وفا الشريف الوفائى التونسى ، وكان أبو بكر علامة عصره فى جميع الفنون وكان فى عصره إمام النحاة . ولد بشنوان ، ودرس فى القاهرة على ابن قاسم العبادى وعلى محمد الخفاجى والد الشهاب وأخذ عن كثير سواهما ، وتخرج عليه كثير من العلماء وانتهت إليه الرياسة العلمية ، ولازمه وتخرج عليه ابن أخته الشهاب الخفاجى وسواه من أكابر العلماء ، ثم ابتلى بالفالج فمكث فيه سنين لا يقوم من مجلسه إلا بمساعد وله عدة =

إخوانى فى الجد والطلب ، ثم قرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب الاثنى عشر ونظرت فى كتب المذهبين : أبى حنيفة والشافعى . ومن أجل من أخذت عنهم: شيخ الإسلام بن شيخ الاسلام الشمس الرملى وأجازنى بجميع مؤلفاته ومروياته بروايته عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى [توفى ٩٢٦ هـ] وعن والده ، ومنهم احمد العلقمى[1] أخذت عنه الأدب والشعر ، والعلامة الصالحى الشامى[2] والشيخ داود البصير أخذت عنه الطب [3] ،

، ثم ارتحلت مع والدى الحرمين وقرأت هناك على ابن جاد الله وعلى حفيد العصام وغيره .

ثم ارتحلت الى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت وتخرجت عليهم ، وممن أخذت عنه الرياضيات وقرأت عليه اقليدس وغيره أستاذى ابن حسن ، ثم انقرض هؤلاء العلماء فى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر وآل الأمر الى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء واهانتهم . ولما عدت اليها — أى القسطنطينية — ثانيا بعدما وليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم

مؤلفات ، وله شعر رواه الشهاب فى الريحانة (١١٥ الريحانة) وتوفى سنة ١٠١٩ عقب طلوع الشمس من يوم الأحد ثالث ذى الحجة وبلغ من العمر نحو الستين ودفن بمقبرة المجاورين [راجع ترجمته فى الريحانة (١١٤ – ١١٧) وفى الجزء الأول من خلاصة الأثر (٧٩ — ٨١) ، وفى الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا فى الكلام على شنوان (١٣٨ – ١٤٣ / ١٢)]

(١) ترجم له فى الريحانة ص ١٩٥

(٢) هو محمد بن نجم الدين الصالحى الهلالى م ١٠١٢ هـ = ١٦٠٣ م وله ديوان شعر اسمه « سجع الحمام فى مدح خير الانام » طبع فى القسطنطينية سنة ١٨٩٨ (٣٩٣ اكتفاء القنوع)

(٣) راجع ٢٧٢ الريحانة وترجم له فى الريحانة ص ٢٠٥

الأمر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير فكان ذلك سبب عزلى وأمرى بالخروج من تلك المدينة (١) ».

« فان أردت مالى من المـآثر فمن تأليفى : الرسائل الاربعون ، وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات ، وحاشية شرح الفرائض ، وشرح الدرة ، وطراز المجالس ، وحديقة السحر ، وكتاب السوانح ، والرحلة (٢) ، وحواشى الرضى ، والجامى ، وشرح الشفاء وغير ذلك : ولى من النظم ماهو مسطور فى ديوانى ؛ ومن المنثور رسائل منها : الفصول القصار (٣) والمقامة الرومية (٤) التى ذكرت فيها أحوال الروم وعلمائها (٥) ».

وللشهاب عدة مقامات نسج فيها على منوال مقامات الحريرى منها : مقامة الغربة (٦) ، والمقامة الساسانية (٧) ، ومقامة عارض بها مقامة الوطواط (٨) ، والمقامة المغربية (٩) .

---

(١) راجع ٢٧٣ الريحانة

(٢) قرأه عليه تلميذ الشهاب اسمه عبد القادر وأجازه الشهاب بماله من التآليف والآثار وما رواه عن مشايخه الأخيار (راجع ٢٨٦ الريحانة)

وعبد القادر هذا هو عبد القادر البغدادى نزيل القاهرة وتلميذ الشهاب وصاحب خزانة الأدب وتوفى سنة ١٠٩٣ (٣٠٦ فنديك)

(٣) نسج فيها على منوال ابن المعتز وذكر منها جزءا فى الريحانة (٢٨١-٢٨٥

(٤) راجعها فى الريحانة ٢٧٦ - ٢٨١

(٥) ص ٢٧٦ الريحانة

(٦) راجعها فى الريحانة (٢٨٦ — ٢٩٠) وذكر شرحا موجزا لبعض ما فيها من معان غريبة (راجع ٢٩٠ — ٢٩٢)

(٧) راجعها فى الريحانة (٢٩٢ — ٢٩٥)

(٨) راجعها فى الريحانة (٢٩٥ - ٢٩٨)

(٩) راجعها فى الريحانة (٢٩٨-٣٠٠) وشرحها فى الريحانة (٣٠٠ -٣٠٩)

« وله كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، وكتاب ديوان الأدب فى ذكر شعراء العرب ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين وله كتاب طراز (١) المجالس وهو مجموع حسن الوضع جم الفائدة رتبه على خمسين مجلسا ذكر فيه مباحث لغوية ونحوية وأصولية وتفسيرية ، وله رسائل كثيرة ومكاتبات وافرة لم يجمعها ومقامات ذكر بعضها فى ريحانته (٢) » .

« وكان لما وصل إلى الروم فى رحلته الأولى ولى القضاء ببلاد الروم ايلى ، حتى وصل إلى أعلى مناصبها فى زمن السلطان مراد حتى اشتهر بالفضل الباهر فولاه السلطان قضاء سلانيك فاستفاد مالا كثيرا ثم أعطى بعدها قضاء مصر وبعد ما عزل عنها رجع الى الروم فمر على دمشق وأقام بها أياما ومدحه فضلاؤها بالقصائد واعتنى به أهلها وعلماؤها ، ودخل حلب إثر ذلك ثم رحل إلى الروم وكان اذ ذاك مفتيها يحي بن زكريا فأعرض عنه فصنع مقامته التى ذكرها فى الريحانة وتعرض فيها للمولى المذكور فكان ذلك سبب نفيه إلى مصر وأعطى قضاء فيها فاستقر بمصر يؤلف ويصنف وأخذ عنه جماعة اشتهروا بالفضل الباهر ، منهم: عبد القادر البغدادى والحموى وأخذ عنه والدى وكتب عنه أصل الريحانة الذى سماه « خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا (٣) » ، « وأصل والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاه (٤) » .

« ومنى الشهاب بعداوة بعض شعراء عصره (٥) » ، « وتوفى سنة ١٠٦٩ هـ = ١٦٥٨ م » (٦) فى رمضان وعمره فوق التسعين (٧) » .

---

(١) طبع فى القاهرة ١٢٨٤

(٢) ٣٢٣ ج ١ خلاصة الأثر

(٣) ٣٣٣ و ٢٣٤ ج ١ خلاصة الأثر

(٤) ٢٤٣ ج ١ خلاصة الأثر

(٥) ٤٢٧ السلافة لابن معصوم

(٦) ١١٥ فنديك

(٧) ٥٨٨ ج ١٠ البستانى

وإذا يكون ميلاده حوالى سنة ٩٧٥ ﻫ

مكانته العلمية :

« الشهاب الخفاجي الحنفي قاضي القضاة المصرى وصاحب التصانيف الكثيرة وأحد الأفراد المجمع على امامته وتفوقه وبراعته فى عصره (١) » .

أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه ، وأهدى لأرباب الأدب من رياض أدبه أطيب ريحانه (٢)

وكان أحد أفراد الدنيا المجمع على تفوقه وكان فى عصره بدر سماء العلم ونير أفق النثر والنظم رأس المؤلفين ورئيس المصنفين ، سار ذكر مسير المثل ، وطلعت أخباره طلوع الشهب فى الفلك ، وكل من رأيناه أوسمعنا به ممن أدرك وقته معترفون له بالتفرد فى التقرير والتحرير وحسن الانشاء وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعى ذلك . وتآليفه كثيرة مقبولة وانتشرت فى البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فان الناس اشتغلوا بها ، وأشعاره ومنشآته مسلمة لا مجال للخدش فيها . والحاصل أنه فاق كل من تقدمه فى كل فضيلة وأتعب من يجىء بعده مع ما خوله الله من السعة وكثرة الكتب ولطف الطبع والنكتة والنادرة (٣)

وهذا يغنينا عن كل كلام فى بيان منزلة الشهاب الخفاجي فى عصره وبعد عصره

ثقافة الشهاب :

اما ثقافة الخفاجي الأدبية فواسعة جدا تنبئنا عنها الريحانة وطراز المجالس أحد مؤلفاته ويدلنا عليها أيضا شعره ومقامته ؛ ولقد كان الخفاجي متضلعا فى علوم اللغة والادب والبلاغة الى حد بعيد .

---

(١) ٥٨٧ ج ١٠ البستانى

(٢) ٤٢٠ السلافة لابن معصوم

(٣) ٣٣١ و ٣٣٢ ج ١ خلاصة الأثر للمحبى م ١١١١ ﻫ ، وص ٧ ج ١ من حاشية الشهاب على البيضاوى

وأما ثقافته الدينية فقد أهلته لتولى عدة مناصب قضائية عظيمة منها منصب قاضى القضاة المصرى

وأما ثقافته العامة الأخرى فواسعة جدا كما تنبئنا عنها آثار الخفاجى وكما ذكر فى ترجمته لنفسه وكانت له مكتبة مشهورة ، وذكر بعضهم أنه وجد فى مخلفاته عشرة آلاف مجلد

نثره :

عاش الخفاجى فى آخر عصر المماليك حيث الملكات الادبية فى اضمحلال وفناء والانتاج الأدبى فى الشعر والنثر سقيم مرذول ؛ ولكن الخفاجى مع هذا كله سليم العبارة قوى الملكة حسن الاسلوب بليغ الأداء يسير كلامه مع الطبع والذوق ولاتنبو عنه الاسماع ولا الأذواق فهو فى نثره : رسائله ومقاماته وكتبه الأدبية التى ألفها ـ زعيم عصره فى هذا المذهب الأدبى المطبوع المقبول البعيد عن أثر الصنعة والتكلف أو الحوشية والاغراب أو السوقية والابتذال

شعره :

الخفاجى ديوان شعر مفقود ذكره فى الريحانة وقد عثرنا بعد ذلك على نسخة خطية منه بمكتبة الأزهر (بنمرة ٥٠٠ خصوصية أدب) وله عدا ذلك شعر كثير جدا ذكره فى كتابه الريحانة وفى كتابه طراز المجالس

وله مقصورة فى مدح النبى صلوات الله عليه عارض بها مقصورة ابن دريد قصائد أخرى فى هذا المعنى ضمن مجموعة مخطوطة بدار الكتب (٧٦ مجاميع[١]) ومقصورته فى مدح النبى عارض بها مقصورة زهير ابن أبى سلمى ضمن ترجمة له وعدة أشياء أخرى من آثاره ألحقت بكتاب خبايا الزوايا المخطوط [٢] وروى

---

(١) راجع الجزء الثالث من فهرس دار الكتب حيث قال : « قصائد الخفاجى ١٠٦٩٢ » وذكر فيها ميميته التى عارض بها معلقة زهير ، ومقصورته التى عارض بها ابن دريد ، وخمس قصائد أخرى فى مدح الرسول .

(٢) بالدار [٨٤ و ١٣١٢ و ٤٦٩٧] أدب

المحبي في خلاصة الأثر بعض شعره، قال: (١) ومن أجود شعره قصيدة دالية مشهورة:

قدحت رعود البرق زندا أضرمن أشجانا ووجدا
في خيمة الظلماء إذ مدت على الخضراء بردا
حتى تشاءب نوره وتمطت الأغصان قدا
وعلى الغدير مفاضة سردت له النسمات سردا
وحبابه من فوقه قد بات يلعب فيه نردا
فسقى معاهد بالحمى قد أنبتت حبا وودا
تذر الليالي في ثرى من عنبر للمسك أهدى
عجبا لدر ناصع أودعن في مسك مندى
في ظل عيش ناعم بنسيم أسحار تردى
والدهر عبد طائع أهدى لنا شرفا وسعدا
ما زال أصدق ناصح كم قال لي هزلا وجدا
سلم امرؤ عن طوره في كل حال ما تعدى
فالخطب بحر زاخر فاصبر له جزرا ومدا
في ذمة الأيام للأحرار دين قد يؤدى
إن ماطلت فلربما أنجزن بعد المطل وعدا
فاذا رمى طأطيء له رأسا تراه عنك عدى
أفبعد إخواني الألى درجوا أخاف اليوم نقدا
عيني إذا استسقت بهم تسقى بدمع العين خدا
لو كانت القطرات تجمد نظمه في الجيد عقدا
قوم لهم يدعو الثنا من شاسع الأقطار وفدا

---

(١) ٣٣٦ وما بعدها جـ ١ خلاصة الأثر

كم في عكاظ نديهم جلبوا لهم شكرا وحمدا
لا يشترون بذخرهم إلا جميل الذكر نقدا
أبقى لهم حسن الحديث برغم أنف الدهر خلدا
ورثوا المكارم كابرا عن كابر فرضا وردا
من كل طود شامخ متسربل برداه مجدا
أمست عيونا كلها ترنو إلى الأعداء حقدا
تلـقى الورى بنديهم نكس العيون إذا تبدى
لبس الجلال على الجـمال فصد عنه الطرف صدا
فهمو بسلطان التقى اتخـذوا قلوب الناس جندا
أمسوا بغمـد ضريحهم وبقيت مثل السيف فردا
مالى أقيم ببلدة فيها بناء الدين هدا
ونها الشهاب إذا سما يخشى من السلطان طردا

مؤلفات الخفاجي :

١ — الريحانة واسمها « ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا » ويقول فيها الشهاب هذه دخائر من « خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا (١) » وقد سار عليها هذا الاسم أيضا (٢)

وهي تراجم أدبية واسعة لشعراء القرن الحادى عشر وأدبائه وعلمائه في مصر والشام واليمن والحجاز والمغرب ، قسمها عدة أقسام :

فالقسم الأول في تراجم أهل الشام ونواحيها

والقسم الثاني في تراجم المصريين من أهل المغرب وما والاها

والقسم الثالث في تراجم مكة ومن بحماها ذكر فيه الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والأعيان

---

(١) ص ٦ من الريحانة

(٢) ولكن للشهاب كتاب آخر بهذا الاسم سنذكره عما قليل

والقسم الرابع فى ترجمة أهل اليمن ممن بلغه خبره فى هذا الزمان ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد

والقسم الخامس فى الترجمة لأدباء وعلماء مصر

والقسم السادس فى الترجمة لنفسه

وقد أثنى عليها كل العلماء ورجال الأدب ويقول فيها ابن معصوم :

« أهدى الى منى مكة المشرفة كتاب ريحانة الألبا تأليف العلامة النحرير . شهاب الدين الخفاجى وهو الشهاب الذى أضاء نور فضله فى هذا الزمن الداجى، فرأيته قد أجاد فيها ألف وتكفل بالمقصود وما تكلف فلله كتابه من ريحانة تنفست فى ليلها البارد وعطرت معاطس الاسماع بطيب نشرها الوارد حتى خاطبها كل كلف بالأدب راح لعرفها منتشقا الخ » (١)

« وقد بنى الخفاجى الريحانة على التراجم ولكنه توسع فى تراجم الشعراء فشرح أقوالهم ونقد ما يستحق النقد منها وهو كتاب أدب وتاريخ جليل الفائدة (٢)

وقد ذيلها المحبى صاحب خلاصة الأثر م ١١١١ هـ بكتاب سماه « نفحة الريحانة » وقد طبعت الريحانة فى مصر سنة ١٢٩٤ هـ فى ٣٢٨ صفحة وهذه الطبعة المذكورة هى التى نقلنا منها ما ذكرناه عن الشهاب ثم طبعت مرة أخرى سنة ١٣٠٦ هـ فى ٤٣٣ صفحة

٢ — حديقة السحر أشار إليه الشهاب فى الريحانة (٣)

٣ — الفصول القصار وأشار إليه الشهاب فى الريحانة (٤)

٤ — الشهب السيارة (٥)

---

(١) ص ٨ من السلافة

(٢) ٢١٠ جـ ٣ الأدب العربى لمحمود مصطفى

(٣) راجع ص ٢٠ و ٣٨ و ٢٧٦

(٤) راجع ٢٧٦ و ٢٨١ (٥) راجع ١١٩ الريحانة

٥ — طراز المجالس كتاب أدب ولغة بناه على خمسين مجلسا (أى درسا) بحث فيها كثيرا من موضوعات البلاغة والنقد والأدب واللغة والتفسير والحديث والتاريخ وسواها وقد طبع فى القاهرة سنة ١٢٨٤ وطبع بطنطا طبعة أخرى وقد أشار إليه الخفاجى فى الريحانة (١)

٦ — خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا ، وهو من كتب الأدب ولكنه متضمن تراجم من أهل عصره فيهم شيوخه وشيوخ ابنه وعددهم يزيد على سبعين ومنه عدة نسخ خطية بدار الكتب (٢) ؛ وهو خمسة أقسام وخاتمة : الأول فى رجال الشام والثانى فى رجال الحجاز والثالث فى رجال مصر والرابع فى رجال المغرب والخامس فى رجال الروم (٣)

٧ — شفاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخيل ، صدره بمقدمة فى التعريب وشروطه ثم أورد الكلمات المعربة مرتبة على حروف المعجم وبين أصلها فى لغاتها الأولى وكان يأتى بين هذه الألفاظ بكثير من المحرف والمولد مع الاشارة إلى أصلها والكتاب نافع عظيم الفائدة فى بابه (٤) وقد طبع الشفاء فى مصر سنة ١٢٨٢ فى ٢٤٥ صفحة ثم طبعته دار الكتب أخيرا فى مجلد كبير الحجم

٨ — شرح درة الغواص فى أوهام الخواص وهو نقد شديد للحريرى تعقبه فيه فى كل ما أورده فى « درة الغواص » ورد عليه بحجج وشواهد قوية . وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية من مدة كبيرة (٥)

---

(١) راجع ص ٢٧٦

(٢) ٣١٠ / ٣ الأدب العربى لمحمود مصطفى ، ٩٢ / ٣ فهرس الدار (وهى بنمرة [٨٤ ، ١٣١٢ ، ٦٩٧ ، أدب بدار الكتب)

(٣) والخاتمة فى نظم المؤلف وشعره ، وقد فرغ من تأليفه فى ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٠٤٢ . ويليها ترجمة للمؤلف وقصيدة نبوية عارض بها بانت سعاد لزهير

(٤) راجع ٣٠٨ / ٣ ، الأدب العربى لمحمود مصطفى

(٥) والآلوسى م ١٢٧٠ هـ مفتى بغداد كتاب على الدرة سماه كشف الطرة عن الغرة أخذ فيه كثيرا عن شرح الخفاجى ووافقه فى كثير من نقده للحريرى

٩ — حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى سماها «عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى» طبعت فى ثمانية أجزاء ببولاق سنة ١٢٨٣ هـ، فالجزء الأول والثانى فى تفسير البقرة، والثالث والرابع إلى آخر التوبة.

والخامس والسادس إلى آخر الفرقان.

والسابع إلى آخر الزخرف

والثامن هو نهاية هذا الكتاب.

وقد طبع بتصحيح الشيخ محمد الصباغ فى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٢٨٣هـ وفى آخر الجزء الثامن قصيدة للسيد عبد الهادى نجا تقريظا للكتاب.

وفى مقدمة الجزء الأول منه تقريظ للشيخ محمد الدمنهورى.

١٠ وللخفاجى شرح للشفاء سماه «نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض» وقد طبع فى أربعة أجزاء فى القسطنطينية سنة ١٢٦٧ هـ

١١ — ومن مؤلفاته: كتاب الرحلة، وكتاب السوانح [١] وكتاب حديقة السحر، وكتاب الرسائل الاربعون، وكتاب حاشية شرح الفرائض، وكتاب حواشى الرضى والجامى؛ مما ذكرناه سابقا

١٢ — وللخفاجى ديوان شعر، وله عدة مقامات ورسائل أوردها فى الريحانة وقد ذكر جورجى زيدان أن فى الخزانة التيمورية نسخة من ديوان الشهاب فى نحو ٢٠٠ صفحة بخط المؤلف على الأرجح

وله قصائد مختلفة فى برلين والمكتبة الخديوية —

وله كتاب ريحانة النار أو ذوات الأمثال يتضمن كل بيت مثلا وهو فى باريس.

وقد سبق أن نقلنا عن «تاريخ الأدب العربى» ما يتضمن أن له ابنا ترجم الشهاب لشيوخه فى كتابه خبايا الزوايا، وليس لدى الآن شىء عن تاريخ ابنه وسأنشر الكثير عنه فى الجزء الأخير

---

(١) ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر [نمره ٦٥٣ خصوصية أدب]، وفى المكتبة أيضا نسخة خطية من ديوانه [بنمرة ٥٠٥ خصوصية أدب] وسنتولى نشرهما بمشيئة الله ونشر كتابه «خبايا الزوايا»، وذلك إذا وفق الله وأراد

* * *

وفى الخطط التوفيقية فى الكلام عن (١) شنوان ما يأتى :

ومن ذرية الشيخ شهاب الدين المتقدم ذكره عبد الفتاح افندى صبرى (الخفاجى) تربى بالمهند سخانة الخديوية ثم نقل من هذه المدرسة فى أواخر سنة ١٢٦٩ إلى آلاى المهندسين للحصول على التعليمات والفنون الحربية ثم ترقى إلى ملازم ثانى بالآلاى المذكور ثم نقل إلى هندسة الاستحكامات بقلعة القناطر وبلغ فيها رتبة اليوزباشى والآن — أى سنة ١٢٩٢ ﻫ هو رئيس هندسة القناطر الخيرية برتبة صاقول أغاشى ،

وإذا فذرية الشهاب الخفاجى قد بقيت إلى العصر الحديث .

وكل ما أستنتجه من هذا ان والد الشهاب كان من شنوان – وهى إحدى قرى المنوفية – ثم أقام بأرض له بجوار سرياقوس ، وأن الشهاب كان له ذرية كبيرة بقيت الى العصر الحديث وذريته هذه هى بقايا أسرة خفاجى الموجودة الآن بشنوان (٢) .

وأخيرا فان التراث العلمى والأدبى للشهاب الخفاجى كبير ضخم وعظيم خالد وهو فى حاجة إلى البحث عنه والعناية به .

وربما تتيح لى الظروف مجالا للتنقيب عن آثاره العلمية فى مكاتب القاهرة العامة لنشرها إن شاء الله .

رحم الله الخفاجى وطيب ذكراه وأكرم مثواه فلقد خدم الدين والعلم والأدب أجل الخدمات

---

(١) ١٣٨ ١٤٣ ج ١٢ الخطط

(٢) لشنوان حديث فى المجد والتاريخ طويل وقد ذكر الجبرتى عنها فى حوادث سنة ١٢٢٣ ﻫ أن منها الفقيه العلامة محمد الشنوانى الشافعى الأزهرى شيخ الاسلام بعد موت الشيخ الشرقاوى وقد تولى المشيخة عام ١٢٢٧ﻫ ٣٠ وتوفى فى ٢٤ من المحرم سنة ١٢٣٣ ﻫ (١٣٥ - ١٣٧ كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر) وقد يكون هذا الإمام العالم العظيم من أحفاد الشهاب ومن سلالة الخفاجيين فى شنوان . وسنراجع حياته وما كتب عنه لتحقيق ذلك فى الجزء الأخير من الكتاب .

ومن شنوان خرج أيضا كثير من العلماء والأدباء والشعراء

* * *

هذا وقد توفى الخفاجى عام ١٠٦٩ هـ، وفى الترجمة المدونة فى أول حاشيته على البيضاوى أنه توفى وقد أناف على التسعين فاذا كان قد مات فى سن الرابعة والتسعين فيكون ميلاد نحو عام ٩٧٥ هـ.

نماذج من شعره:

١ ـ أرح طرف عين جفاها الهجوع ... فان عناء الجفون الدموع
حسيت كؤوس الهوى سحرة ... وساقى المنى لمرادى مطيع
إلى حين غابت نجوم الهدى ... فكان لها فى عذارى طلوع
تقنعت بالوصل من طيفه ... وكل محب لعمرى قنوع
ولى عنده حاجة للهوى ... وليس لها غير ذلى شفيع
رهنت فؤادى على حبه ... فما باله لفؤادى يضيع
تقيل المحاسن فى ظله ... وماء الجمال عليه يشيع

٢ ـ قالوا (١) للندمان لما مزقوا برد الدياجى
قتلتنا الراح صرفا فاقتلوها بالمزاج

٣ ـ ومن شعره (٢)

لا وغصن راق للطرف ورق ... وعليه حلل الظرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى ... والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى. وما ... حللت لى غير دمعى والأرق
ما احمرار الراح إلا خجل ... من رضاب سكرت منه الحدق

٤ ولمه أيضا (٣)

قل للأحبة أنتم مذ غبتم ... لم ألق وجها للسلو جميلا

---

(١) ٢٣٩/١
(٢) ١٤٣ السلافة لابن معصوم.
(٣) ٤٢٥ « « «

فجعلت أيام الوصال قصيرة ... وألبست ليلا للهموم طويلا

• — وله (١) :

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب ... متى فقدت غر المناقب من صحبى

فهل لى فى حماها نفحة عنبرية ... قد استودعتها الريح من نفس الركب

وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها ... حمائم بان فى الربى طيرت لبى

وهل من عهود قد تقضت بقية ... يوفى بها حق ويقضى بها نحبى

سقى الله عهدا للأحبة صيبا ... من الطرف تغنيه عن الوابل السكب

وهيف غصون جادها هاطل الغنى ... فتنبت أوراقا من الشجر القضب

وكل خليل رقرق الود صافيا ... فكل ملام فى محبته يصبى

اصدق فيه الظن من ضنتى به ... على كل شىء قد عرفت سوى قلبى

وما ذاك من سوء الفعال جبلة ... فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

وبعد فشعر الخفاجى كثير وقوى الأسلوب واضح المعنى كثير ألوان الخيال ينم عن ثقافة صاحبه وعقليته وشخصيته؛ والخفاجى ولا شك بين شعراء القرن الحادى عشر الهجرى زعيم الشعر والشعراء

التاريخ الحديث

للخفاجيين فى شنوان

ونحن لا نعلم شيئا عن التاريخ الحديث للخفاجيين فى شنوان بعد الشهاب الا مانقلناه عن الخطط التوفيقية عن حياة عبد الفتاح صبرى الخفاجى أحد أحفاد الشهاب.

وكنت عازما على زيارة الخفاجيين فى شنوان لتحقيق حياتهم الحاضرة وتسجيلها فى هذا الجزء، ولكنى أرجأت ذلك إلى الغد القريب، وسأنشر خلاصة بحثى عنهم فى الجزء الأخير من هذا الكتاب ان شاء الله.

---

(١) ١٢٤ الريحانة

ملاحظات : عن بنى خفاجة فى الأندلس :

— ١ —

هاجر الى الأندلس كثير من القيسيين والعامريين والعقيليين ونجد فى « المكتبة الأندلسية » كثيرا من العلماء فى آخر اسم كل منهم هذا اللقب : « القيسى » ، و « العامرى »

ومن علماء الأندلس : محمد بن عبد الملك العبسى وعاش فى القرن الخامس الهجري[1] ، ومحمد بن عريب العبسى وعاش فى القرن السادس[2] ، وأبو بكر محمد ابن عمر العقيلى م ٥٣٠ هـ[3]

وهذا كله يؤيد وجود فرع بنى خفاجة فى الأندلس

— ٢ —

سبقت ترجمة ابن خفاجة الأندلسى ونزيد هنا نصا آخر عثرنا عليه فى المكتبة الأندلسية يؤيد نسبة ابن خفاجة الأندلسى الى بنى خفاجة ، قال صاحب بغية الملتمس ما نصه :

ابراهيم بن الفتح بن عبد الله بن خفاجة ، أبو اسحاق الخفاجى شاعر مشهور متقدم ؛ مبرز ، حسن الشعر جدا ، خبيث الهجاء ، وشعره كثير مجموع ، وكانت له همة رفيعة (٤) وتوفى سنة ٥٣٣ لأربع بقين من شوال[5]

وله ترجمة فى المعجم لابن الابار[6]

وكتب الأستاذ عبد الرحمن جبير عدة مقالات فى مجلة الرسالة السنة الأولى عنوانها « الطبيعة فى شعر ابن خفاجة »

---

(١) ١٢٣ التكملة لكتاب الصلة لابن الابار م ٦٥٩ هـ

(٢) ٢٣٢ التكملة لكتاب الصلة لابن الابار

(٣) ١٢١ المعجم لابن الابار ، ١٦٦ التكملة لابن الابار

(٤) ٢٠٢ بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى

(٥) ٢٠٣ المرجع

(٦) ٥٩ — ٦١ المعجم لابن الابار — من أجزاء المكتبة الأندلسية . وفى هامش الترجمة أنه توفى عصر يوم الأحد السادس والعشرين من شوال سنة ٥٣٣ هـ

خاتمة هذا الجزء

وبعد فهذه هى خاتمة الجزء الثانى من كتابى « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى »، وسيليه الجزء الثالث، وسنوالى نشره قريبا بإذن الله تعالى

وإنى لأحمد الله تعالى على توفيقه وأسأله الرعاية والعون والسداد، فهو وليى، إنه نعم المولى ونعم النصير

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

تحريرا فى أول ذى الحجة عام ١٣١٩ هـ

١٢ سبتمبر ١٩٥٠ م

المؤلف

محمد عبد المنعم خفاجى

أستاذ الادب العربى

بكلية اللغة العربية بالازهر الشريف

تقدير كريم

مديرية الدقهلية — مكتب المدير :

حضرة الأديب الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

تحية طيبة ، وبعد : فقد تسلمت بيد الشكر مؤلفكم القيم «بنو خفاجة» وتاريخهم السياسى والأدبى . وقد أعجبنى فيه نبل الغرض ودقة البحث وقوة الأسلوب . وبهذا برهنتم على أن الصلة بين الأجداد والأحفاد ما زالت قوية تعمل عملها الدائم على مر العصور والأحقاب . وإن العناصر الطيبة التى توارثتموها كفيلة بأن تبعث آثار ذلك الماضى المجيد ، وأن تحيل التاريخ المكتوب إلى حقيقة ملموسة ونماذج حية .

فأرجو أن تتقبلوا مع جزيل شكرى على هديتكم القيمة خالص تقديرى وإعجابى ؟ المخلص : محمد فؤاد عثمان — مدير الدقهلية

كلمة تقدير

— ١ —

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى
إجلالى واحترامى وصادق شوقى وإخلاصى

كان لظهور كتابكم « بنو خفاجة » ضجة فرح فى قلوبنا جميعا ، وإنى لا أقدر على شكركم مهما أوتيت من سحر البيان وبلاغة القلم ، وغاية ما أستطيعه هو الدعاء لله أن يحفظكم لنا ذخرا ويجعلكم علما خفاقا . وحقا إن هذا الكتاب لمن أثمن الأسفار وأنفس الكتب التاريخية ، فعباراته كالدرر ومعانيه كالذهب المصفى . فبارك الله فى أستاذنا الكبير وزاده فضلا على فضل بقدر ما نشرت وتنشر لآل خفاجة من مجد تليد وعز مجيد .

إنى لأزجى لفضيلتكم التهنئة — أثر التهنئة — على إخراجكم هذا المؤلف الفريد فى نوعه الجدير بكل عناية فائقة ، الجديد فى عالم الأدب والتأليف

فلسيدى الأستاذ الجليل أكبر التهانى وعظيم الثناء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

١٥ / ٥ / ١٩٥٠ المخلص: حسن محمود خفاجى

— ٢ —

أستاذى الجليل محمد عبد المنعم خفاجى

السلام عليكم ورحمة الله أدامك الله للعربية نورا ، وللبيان هاديا ورسولا ؛ وللادب العربى منارة إشعاع وإصلاح. كلمة أرسلها محفوفة بالدعاء وفروض الولاء

والحقيقة المجردة عن المبالغة أن الله حباك بشخصية جذابة تشع اشعاعا هادئا كالنسيم ، ذكيا كالزهر ، ومما زاد فى هذه الخاصية جمالا وحسنا ، ماتزودت به من إيمان ثابت ، وفؤاد طاهر

وهكذا يامولاى تحقق للعربية أملها فيك ، فلطالما نشدت أديبا شرقى السمات زهرى النشأة ، حتى وجدتك ، فقر جنانها ، وسكن روعها ، فلطالما أقلقها ؛ وأقض مضجعها مادسه عليها المستشرقون من نظريات فاسدة ، وآراء مغرضة ولقدقرأنا دودك عليها فى كتابك : الحياة الأدبية

فسر يامولاى . على بركة الله ، سدد الله خطاك وشد أزرك ؟

كلية اللغة العربية — الحسينى محمد غانم

— ٣ —

١ — ونشرت منبر الشرق فى عدد رمضان سنة ١٣٦٩ تحت عنوان : «كتب جديدة: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » مانصه :

أخرجت المطبعة الفاروقية الحديثة بشارع الأمير ارغون بالناصرية ، الجزء الاول من هذا الكتاب التاريخي الحافل الجديد

ألفه الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى الاستاذ بكلية اللغة العربية بالازهر الشريف

تناول فيه المؤلف أصول ونشأة بنى خفاجة ، وحياتهم في نجد قبل الاسلام وبعده واشهر الرؤساء والابطال والشعراء منهم ، ثم الهجرات التاريخية لبنى خفاجة فى العراق ومصر والاندلس ، والتكوين السياسى لبنى خفاجة فى العراق ، وامارة الخفاجيين فى إقليم الكوفة فى القرن الرابع والخامس والسادس الهجرى ، واشهر امرائها . كما تناول بالتحليل حياة توبة الخفاجى ، وابن خفاجة الاندلسى الشاعرين وسواهما من الشخصيات .

وسيتبعه المؤلف بأربعة اجزاء اخرى يشرح فيها تاريخ الامراء الخفاجيين فى الشام وحلب ، وحياة بنى خفاجة فى مصر . واشهر فروعهم ، وكبار شخصياتهم حتى الآن . وهو مجهود تاريخى كبير ينشر لأول مرة .

٢ كما نشرت جريدة الزمان وصوت الأمة والنداء ومجلة الهلال والمصور والرسالة كلمات تقدير للكتاب ومنهج مؤلفه فيه .

— ٤ —

وتلقينا من الاستاذ عبد الستار سعد الثلثي المدرس بمدرسة طبرق رسالة جاء فيها :

أستاذى الجليل محمد عبد المنعم خفاجى

أبعث إلى مقامكم الكريم هذه السطور معبرا فيها عن مدى وإجلالى لشخصكم المحبوب

وكيف لا وهذه مؤلفاتكم القيمة ، السلسة الالفاظ العذبة الاساليب والمتعمقة فى البحث والغزيرة فى المادة ، تنشر بين الناطقين بلغة القرآن الكريم ، فتلقى إعجاب الجميع وتتهافت عليها الجموع ، لتزود بها مكانها ، وعلى رأس هؤلاء قاطبة ملك مصر المعظم الفاروق حفظه الله وكبار رجال الأدب فى مصر والشرق العربى

فهنيئا لكم من الصميم على هذه المكانة الكبيرة التى أحرزتموها بفضل عملكم وانتاجكم الأدبى ؟ المخلص أبدا : عبد الستار سعد

أسماء جميع المشتركين فى الكتاب

١ — حضرة صاحب العزة على مصطفى خفاجى بك
٢ حضرة صاحب العزة محمد بك خفاجى المراقب العام المساعد لوزارة الصحة
٣ — الأستاذ حسن محمود خفاجى بك مدير الادارة الفنى بمبانى وزارة المعارف
٤ — الأستاذ محمد حامد خفاجى السكرتير الفنى للادارة العامة لتعليم البنات بوزارة المعارف
٥ — الأستاذ عبد الفتاح محمد خفاجى بك وكيل الادارة بسكرتارية وزارة المعارف
٦ — الأستاذ محمد لطفى خفاجى بك ـ المراقب بوزارة التموين
٧ — الأستاذ رياض خفاجى المهندس الزراعى بوزارة الأوقاف
٨ — عمر افندى على خفاجى صاحب الشركة التجارية بشارع السد البرانى بالسيدة زينب
٩ — الشيخ حسن محمود خفاجى الطالب بكلية الشريعة الاسلامية بالأزهر الشريف
١٠ — محمود سليم عثمان الخفاجى من أسرة خفاجى من أعيان « القارة مركز أبو طشت قبلى مديرية قنا »
١١ — الأستاذ محمد أحمد خفاجى دبلوم فى علم النفس العملى وسكرتير جمعية التعاون الزراعية بكوم الحجنة ومن أسرة خفاجى بحارة الخطباء التابعة لهورين مركز السنطة غربية.
١٢ — الاستاذ احمد جمال الدين خفاجى من أسرة خفاجى ببندر طوخ قلوبية

وقيمة الاشتراك لكل من حضراتهم جنيه مصرى واحد

استدراك:

الكلمة	صحتها	الصحيفة	السطر
مكاتب	مكتبات	٦	١٧
الثر	الثريا	٢٤	٢٤

انتهى الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

باذن الله تعالى

نقد وتحليل لديوان وحى العاطفة للمؤلف

بقلم الأستاذ عبد الرحمن سلامة العطار

[عن الجهاد عدد ١٤/٣/١٩٣٦]

جولة فى ديوان وحى العاطفة

وهو مجموعة من روائع الشعر فى ١٤٤ صفحة

تنعكس مظاهر الحياة فى صورها المتباينة على مرآة قلب الشاعر فتأخذ مكانها منه، شأنه فى ذلك شأن غيره من الناس، بيد أن قلب الشاعر غض رطيب واحساسه دقيق رهيف لا يفتأ أن يترقرق بهذه المظاهر . ويسبغ عليها روحا من شاعريته ثم يخرجها للناس فى لفظ رشيق وأسلوب أنيق . .

وأحسن الشعر وأروعه ، وأسلسه وابدعه ما كان متمشيا مع روح عصره لا يشط عنها قيد أنملة . . .

على هذا القياس العادل « فى نظرى » درج الشاعر الشاب « محمد عبد المنعم خفاجى » فى ديوانه « وحى العاطفة » .

فنرى شعره فيه إذ تراه قطعة من نفسه ونفثة من نفثات حسه . وأنة من أنات وطنه الذى امتحن به فى أيامه الأخيرة أيدى الطغاة الدخلاء . وكادت « لولا عناية الله » ان تطوح به من البعث إلى الفناء، فهو يصور لك وطنه الذى عانى من أجله ماعانى فى صورة رائعة قدسية تجل عن التبيان حتى للاريب فيقول .

معان فى عــلاه علت وجلت عن التبيان حتى لـلاريب
هـو الالهـام فى اسمى مقام هـو الأرواح فى سر عجيب
له تسعى بنوه لوصـل آت بماض من جـلالته قشيب

وهو من أجل هـذا الوطن الذى أخذ منه مأخذه ، وملك عليه المشاعر كلها يسرح خاطره فيه يتحسس خفاياه ويبثه لوعته ، فجل شعر ديوانه وطنى يمدح من

بعثه من الوهدة كمحمد على باشا وجلالة المليك فؤاد ، ويتيمن بمن يأمل منه النصر له كالأمير فاروق ويشيد بالزعامة الكفيئة فى شخص الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا ، ويستحث اخوانه من الشباب الطافر الوثاب على العمل على رفعة وطنه والاستشهاد من أجله كلما هتف داعى الجهاد .

وشعره فى كل ذلك رصين جزل سلس سهل .

على أن الوطنية التى اختلطت بلحم الشاعر ودمه لم تنسه تربيته وثقافته الدينيتين فهو يناشد الفضيلة ويترسمها فى صورته ويأتن للازهر ويترقب له النهوض ويهنىء فيلسوفه ورئيسه « المراغى »

استمع اليه حين يقول :

الدين أنت بعثته والأزهرا ورفعته فوق النجوم مظفرا
وأعـــدت عهد جلاله وبهائه ونشرته من بين أنقاض الثرى
جددت ما هدم الزمان وليله وبنيت مادرس الزمان وأقبرا

فالشاعر بهذا وفى لوطنيته ، ولتربيته وأزهريته . .

وقد شاء ذوق الشاعر النابه أن يختم ديوانه بحوار لبق ظريف بين الريح والسحاب والشمس والأثير . قال فى نهايته :

قال الأثير وإنى لا أنثنى عن غضبتى أو أقطع الاغـلالا
الظلم فى شرع العدالة منكر والعسف فى دينى أراه ضلالا

هذه جولة عجلى فى هذا الديوان الوليد دفعنى اليها ما فيه من رقة وجزالة ولعل القارىء الكريم يرى ما أرى من أنه مجهود طيب موفق يستحق الشاعر عليه الاعجاب والتقدير ؟

رسائل ابن المعتز

فى النقد والأدب والاجتماع

جمعها وشرحها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١٤٤ صفحة من القطع الكبير . مطبعة مصطفى الحلبى . القاهرة ١٩٤٦

١ — قالت عنه مجلة الكتاب فى عدد سبتمبر ١٩٤٦ ما نصه :

أمير المؤمنين — ولكن لليلة واحدة — عبدالله ابن المعتز ، من أعلام الأدب والبيان ، فى القرن الثالث الهجرى ، مات فى ٢ ربيع الثانى سنة ٢٩٦ ، وهو شاعر عبقرى ، وأديب ممتاز ، لم تشغله الامارة ولا ألاعيب السياسة ، عن الأدب والتأليف . وآثاره نادرة ، منها ديوان شعره ، ومنها كتاب البديع ، وقد نشره جامع هذه الرسائل فى العام الماضى ، ومنها طبقات الشعراء ، وقد طبع قسم منه فى أوربة .

وهذه الرسائل كلمات منثورة ، وكتب صغيرة ، جمعها الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى من مصادر عدة ، استقصى ما استطاع الاستقصاء ، وأحسن فى جمعها وتبويبها وشرحها . وجعلها أثرا نفيسا فى أيدى القراء . وقسمها إلى أقسام أربعة :

القسم الأول : آثاره فى النقد الأدبى

القسم الثانى : رسائله الأدبية وآثار أخرى

القسم الثالث : حكم وآداب

القسم الرابع : أرجوزتان له ، الأولى فى تاريخ المعتضد ، وهى طويلة ، تتجاوز الأربعمائة بيت ، وصفها الأستاذ أحمد بك أمين فى ظهر الاسلام بأنها « صورة مصغرة لنمط الملاحم ، كالالياذة والشاهنامة ، وسدت بعض النقص الذى يوجد فى الشعر العربى » ويقول الأستاذ جامع الرسائل إنها « بقيت مهملة بحوادثها التاريخية المجهولة ، حتى قمت اليوم بشرحها ونشرها فى هذا الكتاب ، وهو عمل له قيمة كبيرة فى خدمة تراث ابن المعتز الادبى » . والأرجوزة الثانية فى ذم الصبوح ، وهى طويلة أيضا ، وإن كانت لا تبلغ مبلغ تلك فى الطول . ثم

ذيل الأستاذ هذه الرسائل بقصائد وقطع لابن المعتز، خلا منها ديوانه المطبوع وهذه فائدة جليلة يسديها الأستاذ للأدب والشعر، تصلح تمهيداً لتحقيق ديوان ابن المعتز وطبعه طبعة كاملة مصححة، فان الديوان المطبوع ملىء بالتحريف والتصحيف، ولا يحوى كل شعر ابن المعتز. وفى دار الكتب المصرية نسختان كاملتان منه كما يقول الأستاذ. فلعله يوفق العناية باخراجه إخراجا علميا صحيحا إن شاء الله، يضيف به مأثرة إلى مأثرتيه فى خدمة كتب ابن المعتز وأدبه (١)

٢ وكتب عنه ناقد مجلة البشير ما نصه:

هذا سفر جديد قيم أخرجه الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى بكلية اللغة العربية، فكان هدية قيمة للمكتبة العربية التى كانت تترقب مثل هـــذا المجهود فى شغف وزهو وغبطة

يجمع هذا الكتاب الجديد آثار ابن المعتز فى النقد الأدبى ـ ومنها رسالة له فى نقد أبى تمام ـ ورسائله الأدبية الى أصدقائه ورجالات الدولة وعظمائها فى عصره، وآثاره فى الحكم والآداب والاخلاق، ومنها جزء كبير من كتابه المفقود «الفصول القصار» الذى يضارع الأدب الكبير لابن المقفع، وفى الكتاب شرح رائع للملحمة ابن المعتز التاريخية فى حياة الخليفة المعتضد واعماله (٢٧٩ — ٢٨٩)، وفيه أرجوزته الادبية الثمينة فى ذم الصبوح، وقد نشر فيه جزءا كبيرا من شعر ابن المعتز الذى لم ينشر من قبل فى ديوانه المطبوع، كالذيل للكتاب.

كل ذلك فى نظام دقيق ومراجعة واسعة وتحليل عميق وتعليق قيم، وفهارس منظمة لموضوعات الكتاب واعلامه

والكتاب قد جمعه الاستاذ من شتى المصادر ونشره لأول مرة فى هذا العام وقد صدره بكلمة قيمة ودراسة وافية لشخصية ابن المعتز. وقد سبق أن نشر الأستاذ محمد عبد المنعم

(١) وأشارت إليه مجلة الكتاب أيضا فى مقال عنوانه: إتجاه التأليف فى عام ١٩٤٦ وأثنت عليه

خفاجى سفرا قيما آخر فى العام الماضى هو كتاب البديع لابن المعتز الذى شرحه شرحا وافيا وصدره بمقدمة ضافية عن ابن المعتز وكتابه الفذ الممتاز الذى يعتبر اول كتاب ألف فى البديع بل فى البلاغة

وهو اليوم يعمل على إخراج سفر ثالث جديد عن ابن المعتز بعنوان « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان» الذى سيحدث أثره البعيد فى الدراسات الأدبية ، كما أنه يستعد لشرح ديوان ابن المعتز ونشره عما قريب

ونحن لا نجد ما نقدمه للاستاذ إلا الشكر والتقدير والدعاء له بالتوفيق فى خطواته الجريئة فى سبيل خدمة الثقافة الأدبية عامة وتراث ابن المعتز على وجه الخصوص ناقد مجلة البشير »

٣ ـ ونشرت عنه مجلة الازهر مايلى :

هـذا كتاب قيم فى الأدب تناول فيه مؤلفه الأستاذ الفاضل محمد عبد المنعم خفاجى خريج كلية اللغة العربية رسائل ابن المعتز فوفى المقـــام حقه فى الشرح والتحليل ، مما لم يسبق إليه ، وابن المعتز تولى الخلافة بعد المكتفى بالله فى أوائل سنة ٢٩٦ هـ . وهو وإن كان حظه فى الخلافة من أسوأ الحظوظ ، فانه بلغ بفضله وأدبه الذروة العليا ، والأفق الأسمى فى الأدب ، وهو إلى اليوم يتردد ذكره فى زمرة فحول البلاغة ، ومقرمى البيان . وتتناقل الكتب أشعاره البليغة ، ورسائله المعجبة ، وقد اعتبر إماما فى حسن التشبيه .

وقد عنى عناية خاصة بتصحيح هذا الكتاب ، وطبعه طبعة جيدة على ورق متين ، فكان باكورة قيمة له يقدمها لطلاب الادب فى أكمل وضع ، وأحسن أسلوب ، سيجدون منه موردا عذبا لكل ماتصبو نفوسهم اليه من أدب ونقد وتحليل .

٤ ـ وكتبت عنه مجلة الحوادث ما نصه :

رسائل ابن المعتز كتاب قيم يجمع آثار ابن المعتز فى النقد والادب والاجتماع ، ويشرح ملحمته التاريخية فى حيـاة الخليفة المعتضد ، وبذيله مجموعة من شعر ابن المعتز لم تنشر من قبل

جمعه وشرحه وعلق عليه الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى بكلية اللغة العربية وسيحدث آثاره فى البحث الأدبى الحديث

٥ ونشرت عنه جريدة المصرى فى عدد ٢٠ /٦/ ١٩٤٦ ما نصه :

عنى الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المتخصص فى البلاغة والادب بآثار ابن المعتز الخليفة العباسى ، يشرحها ويعلق عليها او يجمعها من بطون الكتب فى كتاب كما فعل اخيرا فى كتابه الجديد الذى اسماه « رسائل ابن المعتز فى النقد والادب والاجتماع »

ولعل الذى حدا بالاستاذ خفاجى الى هذا النوع من الدراسة الادبية تاثره بمكانة هذا الاديب سليل بيت الخلافة الاسلامية وولى عهد الخليفة المعتز بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد وماحف بحياته من احداث مفجعة فقد شهد هذا الاديب مصرع والده بايدى الاتراك المهيمنين على شئون الدولة وحرم حقه فى الجلوس على عرش الخلافة بعده وتتالت عليه النكبات فاثر هذا فى شعوره وفى احساسه المرهف الرقيق واهاج كامن الحزن واجج الاسى فى خاطره

وانصرف هذا الاديب الى حياة العلم عساه ان يجد فيها غناء عن حياة الناس ورياضة لنفسه ونسيانا لاحزانه والامه، وتفرغ للحياة الادبية فكان الشاعر المجيد والأديب الموهوب ؟

٦ — ونشرت عنه الاهرام فى عدد ١٩٤٦/٧/١٤ مانصه

نشرت مكتبة الحلبى (رسائل ابن المعتز) وهى مجموعة من الرسائل القيمة فى النقد والادب والاجتماع جمعها الاستاذ عبد المنعم خفاجى بكلية اللغة العربية ، وشرحها وعلق عليها ثم الحق بها جملة من شعر ابن المعتز لم يسبق نشرها

وتقع الرسائل فى نحو ١٥٠ صفحة من القطع الكبير .

٧ — ونشر إعلان عنه فى الاهرام عدد ١٩٤٦/٦/٤ نصه

رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والاجتماع : جمعها وشرحها وعلق عليها الأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجى

ويليها جملة من شعر ابن المعتز لم يسبق نشرها ، وتحتوى على ارجوزتيه فى تاريخ المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩) هجرية وفى ذم الصبوح مع شرحهما والتعليق عليهما

الناشر مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

ابن المعتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

أول كتاب فى الأدب العربى عن حياة ابن المعتز شاعرا وكاتبا وعالما وناقدا أخرجه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى الاستاذ بكلية اللغة العربية . بعد استقصاء ومراجعة لشتى المصادر ، وضمنه بحوثا وآراء ونظريات جديدة فى الأدب والنقد والموازنة . كاشفا عن شخصية ابن المعتز الاجتماعية والادبية والعلمية . وقد تولت طبع الكتاب ونشره مكتبة الحسين التجارية .(الهلال عدد يوليو سنة ١٩٥٠)

فصيح ثعلب والشروح التى عليه

إخراج الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

٩ — نشرت جريدة المصرى عن هذا الكتاب مايلى :

اهدت الينا مكتبة التوحيد بشارع درب الجماميز بالقاهرة هذا الكتاب ، وهو مجموعة قيمة فى فقه اللغة ، أخرجها حضرة الأديب المفضال محمد عبد المنعم خفاجى الاستاذ بكلية اللغة العربية وقد اشتملت على : فصيح اللغة للامام اللغوى أحمد بن يحيى ثعلب وشرح الفصيح للهروى ، وذيل الفصيح للبغدادى ، وكتاب فعلت الزجاج ، وكتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد ، وكلها من أمهات كتب اللغة وفقهها . وتخللت هذه الكتب دراسات وتحقيقات مفيدة فى اللغة ، وشروح

وافية ، ولقد نشر الأستاذ خفاجي ضمن هذه المجموعة شواهد الكتاب لسيبويه إمام النحو ورتبه حسب الهجاء ودل على موضع الشواهد من كتاب سيبويه ، وهذا عمل مفيد للدارسين والباحثين . ويقع الكتاب في نحو خمسمائة صفحة .

٢ ونشرت عنه الاهرام في عدد ٦ / ٦ / ١٩٤٩ مانصه :

نقدم الى المشتغلين بالدراسات اللغوية مجموعة قيمة من كتب اللغة ، لائمة العلماء المتقدمين وتشمل هذه المجموعة : « كتاب الفصيح لثعلب » وشرحه « التلويح للهروى » وذيله ، و « كتاب فعلت وافعلت للزجاج » ، و « الاشتقاق الكبير لابن دريد » وليس من هؤلاء الأعلام من يحتاج الى تعريف أو تنويه .

و « الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس في كلية اللغة العربية بالأزهر » هو الذي قام بجمع هذه الكتب وتنسيقها وأضاف اليها شروحها وتعليقات لها قيمتها . ثم ضم اليها شواهد « الكتاب » ، لسيبويه ، مرتبة حسب حروف الهجاء مع الاشارة الى موضع كل شاهد من « الكتاب » ، وهذه هي المرة الأولى التي تنشر فيها الشواهد على هذا الترتيب الذي يقرب مأخذها ويسهل الرجوع الى اماكنها .

وتطلب المجموعة من « مكتبة التوحيد » أمام المدرسة الخديوية

٣ - وكتبت عنه مجلة الرسالة في العدد ٨٢٠ الصادر في ٣٠ / ٣ / ١٩٤٩ ما نصـــه : فصيح ثعلب والشروح التي عليه :

مجموعة جديدة في فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجاميز في نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، وكتاب شرح الفصيح للهروي ، وكتاب ذيل الفصيح للبغدادي ، وكتاب فعلت للزجاج ، وكتاب الإشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب في اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة فى اللغة وشروح وتعليقات وافية

ونشر معها لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه

ونحن فى غنى عن التنويه بهذا العمل العلمى، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

أعلام الشعر الجاهلى

١ — نشرت جريدة الأهرام كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها :

نشرت « مكتبة الحسين التجارية » كتابا فى « أعلام الشعر الجاهلى » اشترك فى وضعه الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس فى كلية اللغة العربية بالأزهر وزميل له وقدما فيه ترجمة اثنين من أعلام الشعراء الجاهليين وهما : « طرفة الشاعر الشاب ، والأعشى صناجة العرب . »

ويقول المؤلفان الفاضلان فى مقدمة كتابهما ، إنك سوف تجد فيه « من جدة الموضوع وعمق البحث وحرية الرأى ودقة التحليل وحسن العرض ، ما يرضيك ويطمئن اليه ذوقك وعقلك . »

وهو يقع فى مائة وعشرين صفحة ، من القطع المتوسط .

٢ — ونشرت عنه جريدة البلاغ ما نصه : أعلام الشعر الجاهلى :

دراسة جديدة لشاعرين مشهورين من شعراء الجاهلية هما طرفة والأعشى .

ألفها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى بالاشتراك مع أستاذ آخر وفيها من جدة البحث ودقة التحليل وحسن العرض وحرية الرأى ما يرضى القارىء ويطمئن اليه عقله وذوقه .

ويمتاز الكتاب بتجديد مناهج البحث ووضع موازين وافية لدراسة شاعرية الشاعرين وأثرهما الأدبى ومكانتهما بين الشعراء الجاهليين

ولا شك أن الكتاب مرجع أدبى مهم وأوفى دراسة ظهرت حتى الآن عن هذين الشاعرين المشهورين

التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١ — نشرت الأهرام عن هذا الكتاب ما نصه :

التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

دراسة نقدية موجزة ، وضعها ، الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس فى كلية اللغة العربية بالأزهر ، بعد دراسة طويلة لديوانى الشاعرين ، وتتبع لصور كل منهما فى التشبيه .

وهو مطبوع فى المطبعة الفاروقية الحديثة ، ويقع فى نحو ٦٠ صفحة من القطع المتوسط .

٢ — ونشرت عنه جريدة البلاغ فى عدد ٢٢ / ١/ ١٩٤٦ كلمة طويلة بقلم الأستاذ ملاك أحمد زيد المحرر بالبلاغ ، جاء منها :

اخرج الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه ، التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى ، فى أسلوب رشيق رائع وبعد دراسة صادقة عميقة ، فكان ثروة فنية عظيمة عن الشاعرين . وقد عنى بدراسة الناحية الفنية فى شعر ابن المعتز مجلاها فى مرآة الباحث المدقق بصفة يبدو بجانبها أنه انصف ابن الرومى لايمانه أنه خليق بالانصاف وقد تناول الموازنة بينهما ناحية جديدة عميقة كل العمق وفيها متاع رائع للباحثين عن فنون التشبيه فى شعر العرب الخالد

مطبوعات المؤلف

١ — شرح الايضاح — ٦ أجزاء ١٠٠٠ صفحة

٢ — فن الشعر — جزءان — نحو ٣٠٠ صفحة

٣ — بنو خفاجة — ٦ أجزاء — الف صفحة — ظهر الجزءان الاولان منه

٤ — الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ـ ٦٠٠ صفحة

٥ — الحياة الادبية فى العصر الجاهلى ـ ٤٠٠ صفحة

٦ — ابن المعتز وتراثه فى الادب والنقد والبيان ـ ٤٠٠ صفحة

٧ — فصيح ثعلب ـ ٤٠٠ صفحة

٨ — الشعراء الجاهليون ـ ٢٠٠ صفحة

٩ — رسائل ابن المعتز ـ ١٤٤ صفحة

١٠ — شرح البديع لابن المعتز ـ ١٣٦ صفحة

١١ — شرح قواعد الشعر لثعلب ـ ٩٠ صفحة

١٢ — شرح متن التلخيص ـ ١٤٤ صفحة

١٣ — الشعر العربى أوزانه وقوافيه ـ ١٢٠ صفحة

١٤ ـ التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى

١٥ ـ حكومة القاضى الجرجانى فى النقد

١٦ ـ أبو هلال وأثره فى البلاغة

١٧ ـ شاعر وكتاب

١٨ ـ ليلى الاخيلية الشاعرة

١٩ ـ موقف النقاد من الشعر الجاهلى

٢٠ ـ الشاعر الخالد

٢١ ـ مرشد البيان فى البلاغة

٢٢ ـ أعلام الشعر الجاهلى ـ بالاشتراك مع الأستاذ سرحان

٢٣ ـ عبد القاهر والبلاغة العربية

٢٤ ـ سر الفصاحة ـ يطبع بالاشتراك مع الاستاذ حسن جاد

٢٥ ـ أحلام الشباب ـ ديوان شعر

٢٦ ـ وحى العاطفة ـ ديوان شعر

٢٧ ـ نشيد الصحراء ـ قصة

٢٨ ـ توبة شاعر البطولة

فهرست الكتاب

بنو خفاجة

وتاريخهم السياسى والادبى

كتاب تاريخى حافل

الف صفحة = ٥ أجزاء

الاشتراك فى جميع اجزاء الكتاب جنيه مصرى

يطلب الكتاب من المؤلف بكلية اللغة العربية بالقاهرة

ومن

المطبعة الفاروقية الحديثة

٣ — الامير أرغون أول ش محمد بك فريد بالناصريه

ثمن الجزء الواحد ٣٠ قرشاً